أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة



في العدد

العدد: 323 تشرين الثاني — كانون الأول 2003

المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية

المجلة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي

منشورات مكتب الاعلام والنشر القيادة القومية
العنوان: الجمهورية العربية السورية - دمشق ص.ب 11512

المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية

المجلة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي

يصدرها مكتب الاعلام والنشر في القيادة القومية

في العدد:

في العدد:

لمصلحة من يستهدف البعث

الدكتور فواز الصياغ
عضو القيادة القومية الاحتياط
رئيس هيئة التحرير

بعد احتلال العراق وسقوط النظام تصاعدت الحملة العسكرية والسياسية والفكرية الامبريالية على أقطار وأنظمة عدة في الوطن العربي، وظهرت شعارات تستهدف البعث فكراً وثقافة وتراثاً قومياً. وتشكلت لجان مهمتها المعلنة اجتثاث البعث والبعثيين في العراق تنفيذاً لسياسة مخطط لها مسبقاً من الامبريالية وحليفتها الصهيونية، وهي على غرار ماشكلته الصهيونية لمطاردة النازيين السابقين في ألمانيا والعالم بعد الحرب العالمية الثانية، وقد لاتقتصر مهمة تلك الحملة على العراق فحسب، بل تتعداه إلى أقطار أخرى وتستهدف سورية وقيادتها وحزبها الذي اختلف مع ماسمي بحزب البعث في العراق اختلافاً بيناً طيلة السنوات العديدة السابقة ومنذ عام 1966 وماقبلها ومنذ المؤتمر القومي السادس للحزب عام 1963.

إن النوايا الخبيثة التي يضمرها الأعداء لحزب البعث العربي الاشتراكي وأهدافه القومية تعود إلى سنوات نضاله الطويلة لمقارعة الاستعمار والامبريالية والاحتلال الأجنبي منذ تأسيسه حتى اليوم، وحين تأسس الحزب عام 1947 كانت معظم الأقطار العربية تعيش إما تحت الاحتلال المباشر للقوات الأجنبية، أو تحت الوصاية والانتداب. واكتسب الحزب جماهيريته وسمعته وتراثه من نضاله وتضحيات أعضائه لنيل الحرية والاستقلال لأقطار الوطن المتعددة من المغرب حتى الخليج العربي.

وكان الصراع والذي- مازال- قائماً على أشده بين الحركة الصهيونية ومطامعها في الوطن العربي وبين البعث وحركة القومية العربية هو السمة الأبرز خلال الخمسة والخمسين عاماً الماضية من عمر الحزب ونضاله.

وحتى لاتختلط المفاهيم بتشابه الأسماء فلا بد من تأكيد بعض الحقائق أمام الرفاق البعثيين الذين تستهدفهم هذه الحملة الهوجاء المكشوفة الأهداف والنوايا خصوصاً الرفاق في القطر العربي السوري وفي منظمات الحزب القومية:

أولاً: فحزب البعث في العراق هو حزب آخر قام على تشكيله وقيادته وتوجيه سياسته عناصر فصلها الحزب القومي بقرار من المؤتمر القومي التاسع عام 1966 بسبب مواقفها المشبوهة واليمينية التي ساهمت في سقوط ثورة 8 شباط عام 1963 في العراق وحاولت تخريب الثورة في سورية.

ثانياً: في عام 1968 قامت تلك المجموعة وبالتعاون مع عناصر وثيقة الصلة بالاستخبارات البريطانية وشغلت مواقع قيادية في نظام الرئيس العراقي السابق عبد الرحمن عارف آنذاك بعملية استلام وتسليم السلطة في 17 تموز 1968 وإقصاء عبد الرحمن عارف عن الحكم.

ثالثاً: بعد أسبوعين من ذلك وفي 30 تموز 1968 قامت تلك المجموعة التي طردها الحزب بإقصاء عبد الرزاق النايف وإبراهيم الداوود من رموز النظام السابق وأعلنوا أنهم يقودون العراق باسم حزب البعث، وحكموا بالأسلوب الدموي والفاشي والقمعي حتى سقوطهم في 9/نيسان 2003 إثر الغزو الأميركي للعراق.

رابعاً: كان حزبنا في سورية ومنظماته القومية يؤكد دائماً للقاصي والداني أن مايجري في العراق من أعمال وقمع وحكم دموي وسياسة مدانة

عربياً ودولياً لاتمثل البعث إطلاقاً، وهو إساءة للبعث وسمعته وتاريخه، وافتئات عليه، وهو مؤامرة محبوكة لتشويه الحزب ومبادئه وإساءة متعمدة لمفهوم الوحدة والحرية والاشتراكية. تلك المبادىء السامية التي حملتها جماهير الأمة وأصبحت أهدافاً قومية للمناضلين العرب على اختلاف انتماءاتهم السياسية والفكرية.

ولابد من التأكيد أن مالحق بالبعثيين من الأذى النفسي والتمزق الداخلي لرؤيتهم مايجري في العراق باسم البعث كان شيئاً قاسياً لايحتمله الشرفاء خلال السنوات الثلاثين الماضية.

خامساً: أدركت الامبريالية والصهيونية وحلفاؤهم أن حزب البعث العربي الاشتراكي بدفاعه عن مصالح الجماهير وترابها وثرواتها ومقاومته احتلال فلسطين وتعرية المصالح الاستعمارية والوقوف في وجه المؤامرات التي تريد استغلال ثروات الوطن العربي ونهب خيراته واحتلال أجزاء من ترابه واستمرار تجزئته وتخلفه. هذا الحزب الذي يشكل خطراً جسيماً على تلك المصالح لابد من مواجهته: إما من الداخل بتشويه سمعته أو تفكيك مؤسساته أو افساد أعضائه إذا لم يستطع مجابهته بالحرب التقليدية. والجميع يتذكر كم واجهت سورية وحزبها من مؤامرات وأعمال تخريب قامت بها عناصر مشبوهة وقوى حاقدة دفعها «بعث العراق» وحكامه للتآمر على سورية وقتل مواطنيها الأبرياء في عقدي الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي.

سادساً: بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران التي اعتبرناها في سورية وباسم حزب البعث العربي الاشتراكي ثورة ضد نظام شاه إيران الحليف للامبريالية والصهيونية حيث كان متعاوناً مع «إسرائيل» ضد الأمة العربية ويشكل شرطياً عنصرياً في الخليج العربي، عندها قام النظام العراقي ودون مبررات سياسية أو أخلاقية أو قانونية بشن حرب

عدوانية ضد إيران وقتل وأصاب من العراقيين والإيرانيين مايزيد على مليوني مواطن راحوا ضحية أطماع دون كيشوتية، إضافة للخسائر المادية الهائلة التي لحقت بالبلدين، وأحدثت كذلك شرخاً عميقاً في الجسم العربي وأثارت نزعات عرقية، وقومية وكانت الثورة الإيرانية تحاول تجنبها وتعمل على إحلال الوفاق والأخوة الإسلامية بدلاً منها.

كان النظام العراقي يشن هذه الحرب باسم البعث وهذا ماجعل الكثير من المواطنين العرب وغيرهم من الذين لايعرفون ماهية «بعث العراق» يحملون أفكاراً سلبية جداً عن البعث في المطلق، مما أفاد الدوائر الامبريالية والصهيونية في هجومها على البعث.

سابعاً: عندما أقدم النظام العراقي على غزو الكويت في حرب الخليج الثانية في آب 1990 بدعوى الوحدة الهدف الأسمى للبعث ليتبين بعد ذلك الأهداف الحقيقية من وراء الغزو كان قد أساء إساءة كبيرة للبعث... وهدف الوحدة حيث تساءلت جماهير غفيرة من العرب عموماً والخليجيون خصوصاً «إذا أراد البعث تحقيق الوحدة العربية بالغزو والتدمير فنحن ضد الوحدة وضد البعث الذي يدعو لها» وأية إساءة أكبر من تلك والتي لحقت بالحزب جراء التصرفات التآمرية التي كان يقوم بها حكام العراق باسم البعث آنذاك.

ثامناً: أقدم النظام العراقي وباسم البعث على مجازر رهيبة سواء ضد مواطنيه العرب والأكراد، أو الأسرى الايرانيين استعمل خلالها أبشع أدوات القتل بما فيها السلاح الكيماوي المحرم.

جرى ذلك باسم البعث وترك في ضمير البشرية ندوباً تصعب إزالة آثارها السلبية واستخدمت ذريعة من قبل الامبرياليةو الصهيونية لتدمير العراق.

ذلك يقودنا إلى إدراك النوايا الخبيثة التي تدفع بها بعض الجهات المتعاونة مع العدو في اتجاه تشويه سمعة البعث وتعميم وتوجيه

الاتهامات دون تمييز بين ما قام بها النظام المقبور وبين الحقائق الموضوعية والتاريخية والتي حاول حزب البعث العربي الاشتراكي في القطر العربي السوري والمنظمات الحزبية القومية في أقطار الوطن العربي وخارجه، حاولوا جاهدين على مدى ثلاثة عقود تبيانها للجماهير للتمييز بين ما سمي بـ «بعث العراق» والبعث في القطر العربي السوري.

تاسعاً: في ضوء ما تقدم فإن الواجب الوطني والقومي الحزبي يحتم على الرفاق البعثيين المناضلين أن يستنفروا للدفاع عن حزبهم وقيمهم وتراثهم، ويدفعهم أكثر فأكثر للتمسك بذلك الحزب ومبادئه السامية واستمرار وجوده ويوجب عليهم رفض ومقاومة كافة الدعوات التي تستهدفه تنظيماًوفكراً خصوصاً وإن هذه الدعوات المشبوهة قد تتسرب إلى بعض ضعاف النفوس والانتهازيين الذين تسربوا إلى التنظيم وأصبحوا يخشون على مصالحهم ومكتسباتهم ومواقعهم.

عاشراً: إن ذلك لا يعني إطلاقاً التمسك بالأساليب الخاطئة في قيادة الحزب وإدارة الدولة التي يقودها، بل يستوجب إعادة النظر في تلك الأساليب وإيجاد الأنسب لتحقيق قدر أكبر من العدالة والمساواة، وإفساح المجال أمام حرية التعبير والعمل الديموقراطي سواء داخل منظمات الحزب أو في صفوف الجماهير، وأن يستوعب الرفاق جميعهم ظروف ومستجدات العالم والتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يمر بها الوطن العربي والعالم الذي يحيط بنا.

إن ذلك كفيل بزيادة الإنتاج ورفع مستوى معيشة الجماهير وإعطائها الطمأنينة الداخلية ورص صفوفها لمواجهة أية دعوة مشبوهة، ويساهم في إبراز طاقة الرفاق المناضلين وجماهير الشعب الخيرة التي وقفت مع الحزب في أحلك الظروف.

حادي عشر: إن مسؤولية ذلك كله تقع أولاً على عاتق القيادات الحزبية

في مختلف مراتبها لأن من واجبها هي تنفيذ قرارات المؤتمرات الحزبية والحفاظ والسهر على مصالح الوطن والمواطنين والحزب وحمايته من الأفكار الخاطئة التي قد تتسرب بفعل بعض العناصر المشبوهة والقوى المعادية وتستهدف وجود الحزب وديمومته.

وأول هذه الواجبات: تطبيق قرارات المؤتمرات بخصوص العمل الديموقراطي وإبراز الطاقات الخلاقة لدى البعثيين واختيار العناصر ذات الكفاءة العالية والسمعة الحسنة والأخلاق القويمة لتتبوء مسؤولية العمل والاضطلاع بمسؤوليات الدولة وأجهزتها والسهر على مصالح المواطنين وتطوير القوانين وتحسين مرافق الإدارة وتحديث العمل في أجهزة الحزب والدولة.

ثاني عشر: إن المبادىء الأساسية والعامة للحزب لم تعد ملكاً للحزب وحده، فالوحدة والحرية والاشتراكية أو المسميات التي تعطي المضمون نفسه وإن اختلفت التعابير، تلك أصبحت على مر الزمان ملك الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج وأضحت إرثاً لكثير من الأحزاب والمنظمات السياسية في الوطن العربي، ولا يمكن بأي حال من الأحوال إلغاؤها وإقصاؤها فهي حاجة أساسية لحياة المواطنين العرب للدفاع عن ذاتهم ووجودهم وتاريخهم وحضارتهم لكن الوصول لها وتطبيقها وأساليب العمل التي تمارسها الأحزاب أو المنظمات الداعية لها قد تختلف من حين إلى آخر، حسب الظروف التي تمر بها تلك القوى والأحزاب والمنظمات ومنها حزبنا فقد يصلح أسلوب ما في العمل أو التنظيم أو الإدارة في زمن ولا يصلح في زمن يليه أو قد يكون أسلوب ما مناسب لظروف قطر عربي معين ويناسب آخر بطريقة أخرى مختلفة، وذلك حسب الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تمر بها الأقطار العربية والتي تختلف

ظروفها أحياناً باختلاف النظام السياسي القائم أو ظروف تطور المجتمع أو القوى السياسية والاجتماعية الفاعلة فيها.

ثالث عشر: لقد أعطى الحزب مرونة عالية في تطبيق مبادئه وأهدافه وسياساته مراعياً بذلك جميع تلك الظروف، وخلال السنوات الماضية تطورت أساليب العمل لدى عدد من منظماته حسب ظروفها. ومع ذلك فالضرورة تقضي أن يبحث الرفاق دائماً عن أساليب عمل وتنظيم متطورة توصل إلى الهدف ولا تخل بالمبادىء العامة التي أصبحت السمة المميزة لحزب البعث العربي الاشتراكي فكراً وتنظيماً والتي بها فقط تستطيع الجماهير الوصول إلى أهدافها وتحقيق غاياتها الوحدوية والقومية والاشتراكية .

كلمة الرفيق الدكتور سليمان قداح الأمين القطري المساعد للحزب في الذكرى الثالثة والثلاثين للحركة التصحيحية

برعاية الرفيق الدكتور بشار الأسد الأمين القطري للحزب رئيس الجمهورية العربية السورية واحتفاء بالذكرى الثالثة والثلاثين لقيام الحركة التصحيحية المباركة التي قادها القائد الخالد حافظ الأسد، أقامت قيادة فرع دمشق لحزب البعث العربي الاشتراكي في شهر تشرين الثاني الماضي مهرجانا خطابيا مركزيا بهذه المناسبة على مدرج جامعة دمشق. ومثل السيد الرئيس بشار الأسد في حضور المهرجان الرفيق الدكتور سليمان قداح الامين القطري المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي وألقى كلمة هذا نصها:

بكل الفخر والاعتزاز نقف في الذكرى الثالثة والثلاثين للحركة التصحيحية المباركة ،نرفع رؤوسنا عاليا نسترجع ذكرى يوم مجيد من تاريخنا أورثنا العزة والقوة والأمل، يوم عظيم أحيا في الشعب إرادة وهيا مشاركة وصنع مستقبلا وضاء ووهب سورية تاريخا زاهيا والامة العربية إنتصارا باهراً في حرب تشرين التحريرية، انه ذكرى الحركة التصحيحية التي أطلقها القائد الخالد حافظ الأسد تعبيراً عن إرادة قواعد الحزب وجماهير الشعب وقضاء على العقليات الجامدة اليائسة والأساليب الخاطئة والافكار المغلقة وإعتماداً لنهج المراجعة وشجاعة نقد الذات وتجديد الافكار وتطوير أساليب العمل وعبوراً الى عصر جديد ومرحلة من التحولات حاسمة ومصيرية وتكريسا لنظام سياسي واجتماعي واقتصادي ونهج شعبي وطني بات منعطفا تاريخيا وقاعدة راسخة ومنطلقا للمبادىء والثوابت في سلطة الشعب وممارسة حريته وتعزيز مشاركته وإزدهار كرامته

ووعيه والدفاع عن حقوقه وتوفير متطلبات حياته وتقدمه .

في هذه المناسبة المباركة يشرفني ويسعدني أن أنقل اليكم والى جماهير شعبنا الأبي تحية وتهنئة ومحبة الرفيق الأمين القطري لحزب البعث العربي الاشتراكي رئيس الجمهورية العربية السورية السيد الرئيس بشار الأسد وثقته بكم وتأكيده متابعة نهج التصحيح وترسيخه وتجديده وتفعيله في حياتنا ليغدو أكثر عمقا وتجدداً وقدرة على التغيير والتطوير وأخصب حيوية وانجازاً وحداثة لتستمر صروح البناء في سورية الحديثة ويرفل شعبها بمزيد من الاستقرار والازدهار وتتحصن بكثير من المنعة والصمود .

لقد أكدت الحركة التصحيحية المجيدة طابعها التجديدي وقدرتها على أن تكون قوة تغييرية فاعلة وحركة إنقاذية كرست الوحدة الوطنية مرتكزاً فكرياً وسياسياً واقتصادياً ومنطلقا لمسيرة الإنجازات المتصاعدة وللحركة الشعبية التي شكلت قاعدة للتلاحم الوطني المتفاعل والنضال القومي الملتزم بالحقوق والمصالح العليا للأمة العربية وأساساً للبناء الإقتصادي المتكامل والديمقراطية الحقيقية الواسعة التمثيل في التنظيم الشعبي لشرائح المجتمع وفعالياته قاطبة والمؤسسات الديمقراطية ومجالسها المنتخبة التي غطت جوانب المجتمع كافة والانتخابات الحرة التي عززت كفاءة وحيوية هذه التنظيمات والمؤسسات وعبرت عن إرادة الجماهير ومشاركتها ورسخت دورها وأثرها في حياة المجتمع وسبل تقدمه ومجالات بنائه وتوفير عناصر منعته وصموده فكانت بحق انبعاثا جديدا لعصر من الكرامة والمبادىء جسدت مصداقية البعث العربي الاشتراكي وجماهيريته في سياسات ومواقف عملية ربطت فيها المبادىء بحركة الحياة والافكار بالممارسات وحشدت هذا التلاحم الجماهيري الواسع والعفوي حول مسيرة الحزب وأكدت دائما أن حزب البعث العربي الاشتراكي هو حزب الشعب المعبر عن آماله ومطامحه في مواجهة الصعاب والتحديات والانتقال دائما الى مواقع أكثر تقدماً وانجازاً .

إن النهج التطويري للحركة التصحيحية المباركة كان رؤية سباقة واستشفافا وطنيا ابداعيا للقائد الخالد حافظ الأسد الذي أكد دائما التفاعل

الحميم الصادق مع أهداف الشعب ومصالحه والاستجابة لمستلزمات حياته وتطوره والاحتكام الى آرائه ومشاركته .

في هذه المناسبة الكريمة واجلالا لهذا الحدث العظيم ننحني بكل اكبار وتقدير أمام عظمة القائد الخالد حافظ الأسد مفجر الحركة التصحيحية المجيدة ومبدع فكرها العظيم ومشيد هذا الصرح الشامخ ومرسخ الارادة السياسية الفاعلة ومرسي فكر الثوابت والمبادىء والصمود والذي سيبقى تراثا خالدا ونبراسا مضيئا في حياتنا ومستقبل أجيالنا .

اننا نقف بكل اعتزاز وتقدير أمام جهود شعبنا في ما تم انجازه من صروح البناء والعمران في سورية الحديثة مؤكدين أن الوحدة الوطنية المتماسكة التي كانت ثمرة يانعة خيرة من ثمار التصحيح وقاعدة للانجازات والانتصارات جسدت قيم الانتماء الوطني والاحساس بالمسؤولية والقيام بالواجب على قاعدة التعددية الحزبية وارساء أسس الجبهة الوطنية التقدمية التي نتطلع دائما لتحديث أساليب عملها ومراجعة فعالية دورها بغية التطوير والتحديث والارتقاء بالاداء وتعميق أثرها في مسيرة العمل الوطني وترسيخ مبدأ المشاركة الديمقراطية والمسؤولية الوطنية .

إن مسيرة الحركة التصحيحية مستمرة قدما الى الامام بقيادة السيد الرئيس بشار الأسد بنهج الاصلاح والتطوير والتحديث، تجسد حضورا حيا للشعب وايمانا حاسما بقدراته وامكانياته وتوفر له بيئة ديمقراطية للمشاركة والشفافية في سعي دؤوب للنهوض والتطوير في مسيرة التنمية الشاملة، فالانسان هو الهدف والاهتمام به ورعاية مصالحه وصيانة حريته وحقوقه هي الهاجس الدائم والمبتغى المنشود .

إن نهج التطوير والتحديث ينطلق دائما من فكر المراجعة والتجديد والتعامل مع الحداثة والتحديات بأنماط فكرية عقلانية وابداع أشكال جديدة في العمل ومواجهة المشكلات وتجديد الفكر وتصويب الممارسة بجدية وشجاعة ومنهجية على قاعدة التطورات والتغيرات بروح الشفافية والمصارحة ومكافحة الفساد ومكامن الخلل وتمكين الوطن من الانطلاق في معارج التطوير والتقدم والالتزام

بالقيم الاخلاقية وحاجات الشعب ومصالحه ومستلزمات النهوض الوطني والقومي واستيعاب معطيات العصر وتعبئة الطاقات الشعبية في مشاركة واسعة بروح المسؤولية والامانة والنزاهة .

ان هذه المسيرة الوطنية مستمرة تتطلع باهتمام لمتابعة بناء قواتنا المسلحة وتطوير قدراتها وأدائها وتعزيز دور الجبهة الوطنية التقدمية والمؤسسات الديمقراطية والمنظمات الشعبية والنقابات المهنية بروح المسؤولية والشفافية وسيادة القانون واعتماد الاصلاح الاداري والاقتصادي لتعزيز بنية الاقتصاد الوطني وكفاءة الادارة ومتابعة تنفيذ برامج التنمية الشاملة والمشروعات الانتاجية على قاعدة التعددية الاقتصادية وتوفير المناخات المناسبة للاستثمار الاقتصادي وتحفيز الاستثمارات الخاصة والاستفادة من الخبرات والتجارب العالمية بما يشجع على استقطاب المزيد من المشروعات الاقتصادية في شتى المجالات الصناعية والزراعية والسياحية والاستمرار في اصلاح القطاع العام وتجديده وتحديث الصناعات القائمة ومعالجة مشكلاتها التقنية والتسويقية والحرص على جودة تنفيذ المشروعات الاستثمارية والخدمية والتقيد بأزمانها المحددة وتشجيع القطاع الخاص والقطاعات الاقتصادية المختلفة وزيادة الانتاج والانتاجية وتحسين نوعية المنتجات واعتماد الاساليب العلمية ونظم المعلوماتية في الادارة والانتاج والاهتمام بالتسويق الصناعي والزراعي والسياحي والتأكيد دائما على التلازم بين التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتحفيز المبادرات الفردية وتوفير فرص العمل للشباب ورعايتهم والحرص على تكافؤ الفرص وتوفيرها للجميع للاسهام في الحياة السياسية والبناء التنموي والعمل على متابعة اصلاح القضاء وتطوير القوانين ومكافحة الهدر واستمرار الاهتمام بتنمية الموارد البشرية والتربية والتعليم وتحفيز التفوق ونشر المعلوماتية وتوفير مستلزمات حياة المواطنين ورفع مستوى معيشتهم .

أيها الرفاق والأخوة

إننا في سورية نعمل بوحي إرادتنا الوطنية وبما يخدم مصالح أمتنا وشعبنا ونسعى لتطوير العلاقات العربية والتعاون المشترك وتفعيل التضامن العربي

وندعو الأشقاء جميعا للحوار والتنسيق والتشاور بما يعزز هذا التضامن ووحدة الصف والموقف . إن الهدف الإستراتيجي لسورية الذي نناضل ونكثف الجهود في سبيله هو تحرير الجولان والاراضي العربية المحتلة واستعادة الحقوق المغتصبة وعلى هذا الاساس فقد التزمت سورية خيار السلام العادل والشامل المستند الى مرجعية مدريد وقرارات الشرعية الدولية ذات الصلة ومبدأ الارض مقابل السلام وبما يفضي الى انسحاب «إسرائيل» حتى خطوط الرابع من حزيران عام 1967 والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني بما فيها حقه في العودة وتقرير المصير واقامة دولة فلسطين المستقلة وعاصمتها القدس الشريف ونحن مستمرون في العمل الجاد من أجل استقرار المنطقة وخدمة مصالحنا وجميع الشعوب والمجتمع الدولي .

إن حكومة شارون تعادي السلام وتقرع طبول الحرب وتقترف الجرائم.

وسورية تدين منطق القوة الغاشمة وترفض الظلم وتؤكد أن القوة العسكرية الاسرائيلية مهما كبرت لن تفلح في تحقيق أهداف العدوان وادامة الاحتلال وهي لا تصنع أمنا ولا سلاما ،بل تنتج مقاومة ودفاعا مشروعا عن النفس ،ولا يمكن أن تشكل بديلا عن السياسة والعقل. كما تدعو سورية الى الحوار وتدين العنصرية وتشجب الارهاب وتدعم النضال العادل في سبيل الحقوق المشروعة وانهاء الاحتلال وتهيب بالدولتين الراعيتين لعملية السلام، الولايات المتحدة الاميركية وروسيا الاتحادية ،وبالمجتمع الدولي ومرجعيات الامم المتحدة لتأخذ دورها وتتحرك لوقف المجازر الاسرائيلية والتعنت في سعي «إسرائيل» المستمر لإدامة الاحتلال وتدمير عملية السلام وإدخال المنطقة في دائرة الخطر والعنف وممارسة الإرهاب والعدوان وإقامة جدار الفصل العنصري والتهام المزيد من الاراضي وارتكاب جرائم الابادة والفظائع والتشريد بحق الشعب الفلسطيني وما لم يعمل المجتمع الدولي لايقاف الاندفاع الإسرائيلي العدواني فستمتد الاخطار والاثار الى أرجاء المنطقة ومصالح الدول جميعها وسلام العالم .

إن سورية ترفض احتلال أي أرض عربية وتؤكد حق الشعوب المحتلة أراضيها بمقاومة الاحتلال ونيل الاستقلال وتقف الى جانب نضال شعب

فلسطين المشروع لتحرير أرضه واقام دولته وحقه في العودة وتقرير المصير وتدعم جهود الشعب العراقي الشقيق لتحقيق استقلاله وسيادته ووحدته الوطنية ورفع المعاناة عنه والحرص على مصالحه وحقه في تقرير مصيره وتعزيز أمنه واستقراره واقامة أفضل علاقات التعاون الاخوي معه لمصلحة البلدين والشعبين الشقيقين .

لقد أظهر اجتماع دمشق لدول الجوار العراقي الذي ضم سورية ومصر والسعودية وتركيا وايران والاردن والكويت توافق المجتمعين حول التوجهات التي تسهم في تعزيز جهود الشعب العراقي لانهاء الاحتلال واستعادة سيادته والمحافظة على وحدته الوطنية واختيار نظامه المستقبلي بحرية ودون أي تدخل خارجي .

أيها الرفاق والأخوة ..

إن الحركة التصحيحية المباركة نهج شعبي وطني وقومي يتعمق في حياتنا بعقلية التجديد والتحديث وأسلوب المراجعة والتصويب والتأكيد دائما على معالجة مواطن الخلل ومواقع الفساد، والمسيرة تتقدم الى الامام تلبي احتياجات الشعب ومصالح الوطن وتعزز الوحدة الوطنية والاستقرار وترسخ مسيرة البناء واستحقاقات الصمود وتحرير الارض في ظل القيادة الامينة المخلصة لقائد مسيرة التصحيح ونهج التطوير والتحديث السيد الرئيس بشار الأسد .

المقاومة العربية للهجرة اليهودية إلى فلسطين خلال عهد الانتداب البريطاني

رهيف حجل*

بدأت المقاومة العربية ضد الهجرة اليهودية منذ اللحظة الأولى لصدور وعد بلفور المشؤوم من قبل الحكومة البريطانية عام 1917 . واستمرت هذه المقاومة حتى هذا التاريخ متخذة أشكالا عدة حتى أضحت اليوم على ما هي عليه من القوة والبسالة والاستشهاد والتي تبدو كل يوم آخذة بالاتساع حتى شملت كافة الأراضي الفلسطينية المحتلة حتى تلك التي احتلت عام 1948 .

ازدادت حركة المقاومة العربية بعد احتلال فلسطين من قبل القوات البريطانية والضرب عرض الحائط بالوعود التي أعطيت للشريف حسين وللعرب إبان الثورة العربية ضد الأتراك ، بإعطاء الدول العربية استقلالها وتنصيب الشريف حسين ملكا عليها ، هذا ما كان في الظاهر أما في الباطن فكانت الحكومة البريطانية تضمر الشر للعرب لاستعمار المنطقة العربية وتنفيذ توصية كامبل بنرمان رئيس وزراء بريطانيا رئيس حزب الأحرار - الذي ألف لجنة من كبار المشاهير في التاريخ والاجتماع والجغرافيا والاقتصاد والنفط والزراعة وذلك عام 1907 وحدد لها مهمة رئيسة هي :

(مقترحات أو وسائل تحول دون سقوط أو انهيار الامبراطورية البريطانية أو تأخير مصير الاستعمار الأوربي) وعلقت اللجنة على دراسة تاريخ

*باحث في التاريخ الصهيوني .

الإمبراطوريات السابقة ، فوجدوا أن الخطر المهدد يكمن في البحر المتوسط صلة الوصل بين الغرب والشرق وفي حوضه مهد الديانات والحضارات فعلى طول ساحله الجنوبي وعلى الساحل الشرقي وعلى جانب البحر الأحمر وعلى طول الساحل الهندي وبحر العرب إلى خليج البصرة . في هذه البقعة الشاسعة الحسّاسة يعيش شعب واحد تتوفر فيه كل مقومات الأمة من تجمع وترابط واتحاد ويبلغ تعداده الآن حوالي (35) مليون نسمة ويمكن أن يرتفع خلال قرن واحد إلى / 100/ مليون نسمة .

وكوسيلة لدرء هذا الخطر أوصى التقرير بضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقي من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوي واقترح لذلك إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط آسيا بافريقيا ، ويربطهما معا بالبحر المتوسط ، بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة .

وعلى هذا التقرير رسم الاستعمار خططه لتمزيق الوطن العربي ومحاربة حركاته التحررية والوحدوية وعلى هديه حدّد منذ مطلع القرن العشرين موقفه من عروبة فلسطين فكان وعد بلفور ومعاهدة سايكس بيكو (1) - وهذا يوضح تماماً ما كان يُدار في دوائر الحكومة البريطانية في الخفاء ، ففي الوقت نفسه الذي كانت بريطانيا ترسل الرسائل إلى الشريف حسين والتي سُميت (برسائل الحسين - مكماهون) فكانت الاجتماعات والمحادثات تعقد مع المنظمة الصهيونية العالمية لوضع خطة انتداب فلسطين وتسليمها لليهود .

وهذا ما أكده وايزمن في مذكراته حيث قال :

(عندما قابلت آرثر جيمس بلفور وزير خارجية بريطانيا عام 1914 فاجأني بالسؤال : لماذا لا تتعاونون معنا ، لماذا لم تقبلوا أن تكون أوغندة وطناً قومياً لكم ؟) أجبته : : لو سمعك موسى الآن لحطم الألواح مرة أخرى ، ماذا تقول لو أن الناس قدموا لك باريس بدلا من لندن ؟ أجاب بلفور : لكن اذكر أن لندن هي ملكنا وهي بأيدينا ، أما فلسطين ... فقلت بحماس ((إننا كنّا نملك فلسطين حين كانت لندن غابات ومستنقعات وسوف نعود ونملكها من جديد)) . فأجاب بلفور : (عندما تصمت أصوات المدافع سوف تكون فلسطين لكم) (2) .

وفعلاً نفذت بريطانيا وعدها وأعطت فلسطين وطناً قومياً لليهود ووافقت عصبة الأمم على صك الانتداب وبدأت بريطانيا تهيء الظروف لطرد العرب

وتهجير اليهود إلى فلسطين ، وهذا ما جعل العرب ينتفضون وقفة واحدة ضد هجرة اليهود إلى فلسطين وتشكلت الجمعيات الوطنية الفلسطينية ، وبدأت بعقد الاجتماعات السرية المنتظمة من أجل وضع الخطط لتنفيذ الغارات على المستعمرات اليهودية المقامة على الأراضي الفلسطينية وذلك لبث الذعر في نفوس المهاجرين اليهود ومنعهم من القدوم إلى فلسطين ووقف الهجرة كاملة وإقناع البريطانيين بأن العرب مصممون على التمسك بمطالبهم في التحرر والاستقلال . وما إن عُين هربرت صموئيل مندوباً سامياً بريطانياً على فلسطين وهو معروف بميوله الصهيونية المتعصبة حتى بدأت الثورات والمظاهرات في أنحاء فلسطين كافة .

ففي تشرين الثاني عام 1912 قامت مظاهرات في القدس ويافا وبعض المدن الفلسطينية الأخرى بمناسبة ذكرى صدور وعد بلفور وهجم المتظاهرون العرب على الحي اليهودي في شارع يافا والقدس وتبادلوا مع حشد من اليهود العيارات النارية فقتل خمسة من اليهود وثلاثة من العرب وأصيب ستة وثلاثون شخصاً بجراح . وهذه كانت الشرارة الأولى التي أعقبتها أعمال ومظاهرات وغضب جماهيري ضد اليهود وأعمالهم القذرة في كثير من المدن الفلسطينية . وبقيت المناوشات والمظاهرات السلمية أحياناً والمسلحة أحياناً أخرى عام 1928 . عندما حاول اليهود ـ يوم 24 أيلول 1928 وهو يوم عيد الكفارة عند اليهود ـ وضع ستار يفصل بين الرجال والنساء أثناء الصلاة عند حائط المبكى وهو من ممتلكات المسلمين المقدسة ، وخوفاً من نية اليهود المبيتة لامتلاك المسجد الأقصى قام العرب بتمزيق الستار ومنع اليهود من استغلال الموقف والدخول إلى الحرم الشريف وهذا ما جعل الاضطرابات تزداد عنفاً بين العرب واليهود إلى أن جاءت حادثة البراق عام 1929 .

1 .ثورة البراق:

يوم 14 آب 1929 قام اليهود بمظاهرة صاخبة في تل أبيب بمناسبة ذكرى تدمير ((هيكل سليمان المزعوم)) وعلى أثرها قامت مجموعة من المشاغبين اليهود بالقدوم إلى القدس وعبور شوارعها ورفعوا العلم الصهيوني وأنشدوا النشيد القومي الصهيوني (الهاتكفا) وشتموا المسلمين والعرب ، فأثار هذا الحادث حفيظة العرب وحملهم على القيام بمظاهرة معاكسة الذي صادف يوم جمعة

ذكرى المولد النبوي الشريف وتوجهت المظاهرة إلى الحرم القدسي الشريف وألقى شيخ المسجد الأقصى خطاباً حماسياً ألهب مشاعر الجماهير الفلسطينية التي قامت بتحطيم بعض الأدوات الخاصة باليهود وأحرقوا الأوراق الموجودة في ثقوب حائط المبكى والتي تحتوي على صلوات ونصوص يهودية حيث جرى اشتباك بين الجانبين أوقع العديد من القتلى والجرحى (3) .

في 17 آب من عام 1929 وقعت حادثة قرية لفتا التي اعتدى فيها اليهود على أحد فلاحي القرية فقتل أحد اليهود مما دفع باليهود إلى أن حملوا القتيل وطافوا به في الشوارع محرضين اليهود والبريطانيين ضد العرب ، فما كان من الفلسطينيين إلا أن جمعوا شملهم من القرى المجاورة لمدينة القدس وفلاحيها وتدفقوا على المدينة يحملون العصي والهراوات والسيوف وحتى أسلحة نارية وخرج معهم المصلون من المسجد الأقصى واتجهوا إلى حائط البراق ، وخربوا لليهود ما نصبوه هناك ثم اتجهوا إلى قرية لفتا واصطدموا مع اليهود الذين تجمعوا من المدن والمستعمرات المختلفة في معركة طاحنة لم تلبث أن امتدت إلى مدن نابلس والخليل حيث هجم العرب في الخليل على الحي اليهودي وقتلوا حوالي سبعة من اليهود وجرح أكثر من خمسين ، كما هاجم العرب ثكنات الحكومة البريطانية والبوليس واستطاعوا طرد البوليس من الموقع ورفع العلم العربي على مبنى الحكومة مما أدى إلى استشهاد أكثر من عشرة أشخاص من العرب وجرح كثيرين منهم . وفي 25ـ 26 آب قام العرب بهجوم عنيف على المستوطنات اليهودية في مرج ابن عامر وتم تدمير ست مستوطنات يهودية تدميراً كاملاً (4)

وعلى أثر هذه الهجمات العربية على الثكنات البريطانية قامت القوات البريطانية التي كانت تقوم بحماية المستوطنات اليهودية بإطلاق النار على العرب مستخدمة الأسلحة كافة حتى الطائرات والدبابات وأوقعت هذه القوات خسائر فادحة في صفوف المهاجمين العرب .

وفي 29 آب من العام نفسه شنَّ العرب هجوماً على الحي اليهودي في صفد فقتلوا خمسة وأربعين يهودياً وأوقعوا عدداً كبيراً من الجرحى وأضرموا النار في عدة منازل وحوانيت يهودية .وعلق حاييم وايزمن على أحداث آب قائلاً : (كانت تلك الاضطرابات والمظاهرات أقوى محاولة قام بها الزعماء العرب لإرهابنا ومنعنا من تنفيذ مخططنا بإقامة وطن قومي في فلسطين لكنهم فشلوا لأنها جاءت متأخرة) . ونتيجة لأحداث آب قدمت الحكومة البريطانية (سلطات الانتداب) ما

يزيد على ألف شخص للمحاكمة منهم 90٪ من العرب وأصدرت محاكمها حكماً بالإعدام على ستة وعشرين شخصاً بينهم خمسة وعشرون عربياً ويهودي واحد . ونتيجة هذا التعسف البريطاني ضد العرب والتحريض الصهيوني شكل العرب عدداً كبيراً من الخلايا لتنظيم الهجمات الفدائية ضد المصالح البريطانية والمستعمرات اليهودية في أرجاء فلسطين كافة ، وأولى هذه الثورات هي ثورة (الكف الأخضر) التي تشكلت في تشرين الأول من عام 1929 وانضم إليها عدد من الثوار الدروز الذين شاركوا في الثورة السورية عام 1925 ضد الفرنسيين وشن الثوار عدداً من الهجمات في مناطق (صفد ـ عكا ـ سمخ) على عدد من الثكنات البريطانية والمستوطنات اليهودية مما حدا بسلطات الانتداب نتيجة هذا الضغط المتزايد من قبل الثوار العرب إلى إصدار الكتاب الأبيض في عشرين تشرين الأول عام 1930 ، الذي ينص على الحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، رفضه اليهود وسرعان ما تنكرت السلطات البريطانية لهذا الكتاب وبدأت بتسليح المستوطنات اليهودية وعينت المدربين الإنكليز لتدريب اليهود على استخدام السلاح غير عابئة بمشاعر العرب أصحاب الأرض ، لذلك قررت اللجنة التنفيذية العربية الإضراب الشامل في أرجاء البلاد كافة يوم 23 آب 1931 وقامت بمظاهرات صاخبة حيث اصطدم المتظاهرون العرب مع البوليس البريطاني في معركة دامية أصيب فيها الكثير من العرب واعتقلت سلطات الانتداب رئيس اللجنة التنفيذية محمد دروزة وقدري طوقان وعادل كنعان وفوزي الخياط وآخرين وحكمت عليهم بالسجن لمدة عام .

2 .هبة تشرين الأول عام 1933 :

على إثر تولي هتلر الحكم في ألمانيا في 30 كانون الثاني عام 1933 شهدت فلسطين موجة واسعة من الهجرة اليهودية إليها حيث ارتفع عدد المهاجرين اليهود من / 9553 / مهاجراً عام 1932 إلى / 30 / ألف مهاجر عام 1933 ومعظمهم من بولونيا .

ونتيجة زيادة الهجرة اليهودية تحول عدد كبير من العمال العرب إلى عاطلين ، كما كانت الأموال الطائلة التي استخدمها المهاجرون في شراء الأراضي سبباً في هجرة الفلاحين العرب من الريف إلى المدن بعد أن طردهم الملاكون الجدد من أراضيهم مما دفعهم للبحث عن أعمال موسمية أو حرف جديدة ، وبذلك استطاع

اليهود أن يتملكوا حوالي (150)ألف دونم من الأراضي العربية وأنشؤوا (62) مستوطنة يهودية في نفس العام / 1933 /، كل هذه الضغوط أدت إلى هبة تشرين حيث تجمع الآلاف من الفلاحين العرب ومعهم العصي والهراوات والسكاكين وانضموا إلى الجماهير الغاضبة الخارجة من الجوامع بعد الصلاة وساروا بمظاهرة كبيرة إلى مبنى حكومة الانتداب وطالبوها بإيقاف الهجرة اليهودية ومنع اليهود من الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية ، فما كان من سلطات الانتداب إلا أن أمطرتهم بوابل من الرصاص والقنابل وهذا ما دفع الجماهير الغاضبة التي لم ترهبها النيران الغزيرة إلى مهاجمة قوات البوليس وطرحوهم أرضا عن الأحصنة واقتحموا بعض المواقع العسكرية البريطانية ، وامتدت هذه المظاهرات والأعمال البطولية التي قام بها العرب إلى أرجاء فلسطين كافة . ونتيجة هذه الأحداث الدامية قتل وجرح أكثر من / 57 / بريطانياً واستشهد أكثر من (26) عربياً وجرح ما لا يقل عن / 187 / آخرين .

وفي تقرير قدمه المندوب السامي البريطاني (واكهوب) إلى وزير المستعمرة البريطاني (لنكيف ليستر) مؤرخ في (6) آذار عام 1935 ذكر فيه : أنه في عام 1933بلغ عدد صفقات بيع الأراضي عن طريق السماسرة حوالي / 673 / صفقة وازداد عدد هذه الصفقات عام 1934 حتى بلغ / 1178 / صفقة .

نتيجة لذلك وللحد من عمليات السمسرة التي أدت إلى طرد الفلاحين العرب من أراضيهم وترك آلاف الأسر العربية بلا مورد تشكل في فلسطين (الجمعية السرية العربية لمقاومة السمسرة) هدفها اغتيال السماسرة والتنكيل بهم بعد أن فشلت جميع الطرق الأخرى في ردعهم .

ورغم كل المحاولات التي قام بها العرب لم ترتدع سلطات الانتداب عن التعاون مع اليهود والشركة الفلسطينية لاستصلاح الأراضي (وهي شركة يهودية) وقامت بطرد الفلاحين العرب من أراضيهم وتسليمها إلى اليهود بالرغم من مقاومة الفلاحين العرب ورفضهم تسليم أراضيهم فهجموا على البوليس البريطاني الذي كان يحمي المالكين الجدد من اليهود ، وكانت النتيجة سقوط أعداد كبيرة من الفلاحين العرب بينما قتل اثنا عشر من البوليس البريطاني . وفي تشرين الأول من عام 1935 اكتشف العرب خلال دورية لهم على ساحل حيفا الباخرة (ليوبولد الثاني) والتي كانت تحمل حوالي / 1666 / برميلاً من الأسلحة والذخيرة المهربة إلى اليهود مما أغضب العرب كثيراً وأصبح لديهم

الدليل الواضح على أن اليهود يقومون بتسليح أنفسهم سراً مما حدا بالعرب إلى الدعوة إلى الإضراب العام في أرجاء فلسطين كافة مطالبين سلطات الانتداب بوقف هذه الأعمال الاستفزازية ومنع إمداد اليهود بالأسلحة والذخائر .

3 . **الحركة القسامية :**

ولد الشيخ عز الدين القسام في مدينة جبلة في سورية عام 1882 وتعلّم في الجامع الأزهر وشارك في حركة المقاومة السورية ضد الفرنسيين بعد احتلالهم سورية مع الشيخ صالح العلي وعمر البيطار فطارده الفرنسيون مما اضطره للجوء إلى حيفا في فلسطين عام 1921 وهناك انتسب إلى جمعية الشبان المسلمين وفي عام 1928 أصبح رئيساً لهذه الجمعية . وفي العام نفسه شكل حركته بقيادته ومعه أربعة أشخاص آخرين هم (العبد قاسم ـ محمد زعرورة ـ محمد صالح ـ أبو إبراهيم الكبير) وبدؤوا على الفور بشراء السلاح وتدريب المجاهدين عليه . وقد اشترك أعضاء هذه الحركة في أعمال هبة آب عام 1929 وهبة تشرين عام 1933 . وقد استطاع الشيخ القسام بما يتمتع به من الفصاحة وقوة الشخصية والخطابة أن يستقطب أعداداً كبيرة من المجاهدين والفلاحين وقد تمكنوا حتى عام 1935 من تنظيم عملهم الثوري وتقسيمه إلى أربعة فروع هي :

1- فرع الدعوة : وهو مكون من العلماء والذين يخطبون في المساجد حضاً على الثورة .

2- فرع التموين : لشراء السلاح

3- فرع التدريب العسكري : يشرف عليه ضباط ممن خدموا في الجيش التركي لتدريب المجاهدين على فنون القتال .

4- فرع العلاقات الخارجية : للاتصالات السياسية .

وفي عام 1935 انكشفت حركته للانكليز فهرب إلى الجبال وبدأ يجوب القرى ويحث المواطنين على شراء السلاح والاستعداد للثورة . ولكن القوات البريطانية اكتشفت تحركاته وأرسلت قوة من حوالي أربعمئة جندي وبوليس إلى القرية التي كان يتمركز فيها وذلك يوم 20 تشرين الثاني عام 1935 وطوقته مع عدد من عناصره وجرت معركة غير متكافئة بين الطرفين كان من نتيجتها أن استشهد الشيخ القسّام واثنان من رفاقه وأسر خمسة منهم وهرب الباقون إلى الأحراش

المجاورة .

وهكذا طويت صفحة هذه الحركة قبل أن تتمكن من القيام بما خططت له واستشهد قائدها البطل الذي يُسمى بأبي الوطنية وكان مثالاً يقتدى به ، حتى إن الجماهير الفلسطينية التي شاركت في جنازته عاهدته على المضي في الطريق التي سلكها وطرد المستعمرين البريطانيين واليهود من البلاد مهما كانت التضحيات .

4- **الثورة الفلسطينية الكبرى بين 1936 ، 1939 :**

نتيجة أحداث عام 1935 والضغط المتواصل على العرب وطرد الفلاحين من قراهم وأراضيهم والعمال من أعمالهم وتزايد الهجرة الشرعية وغير الشرعية والأزمة الاقتصادية التي اجتاحت البلاد عام 1935 من جهة، والثورات التي تفجرت وآخرها ثورة القسام التي ألهبت مشاعر الجماهير العربية وأضاءت طريق الفلسطينيين إلى الثورة على الحكم البريطاني ورفض الوطن القومي اليهودي . من جهة أخرى اقتنعوا بأنه ليس هناك مجال لتحقيق أمانيهم إلا عن طريق القوة ، وشجعهم على ذلك النضال الوطني الذي كانت تخوضه الجماهير العربية في سورية ومصر ضد الاستعمار الأجنبي .

وفي 18 أيار عام 1936 دعت الجماهير العربية إلى الإضراب العام في أرجاء البلاد كافة والقيام بالثورة ضد الاستعمار البريطاني وضد الهجرة اليهودية التي كانت تزداد يوماً بعد يوم رغم المطالب العربية بوقفها نهائياً . وفي 18 أيار عام 1936 بعد شهر واحد على الإضراب العام وعدم تنفيذ مطالب اللجنة التنفيذية العربية قامت الثورة المسلحة على القوات البريطانية وعلى المصالح اليهودية ونشبت معارك هائلة بين المجاهدين العرب من جهة والجنود البريطانيين واليهود من جهة أخرى مستخدمين أنواع الأسلحة كافة التي لديهم حتى الهراواة ضد عدو ملك أحدث أنواع الأسلحة في ذلك الوقت حتى الطيران .

ورغم الخسائر الكبيرة التي وقعت في صفوف المجاهدين العرب إلا انهم صمموا على الجهاد وعدم إلقاء السلاح حتى تحقيق مطالبهم بالاستقلال التام وإلغاء الهجرة اليهودية إلى فلسطين وقسم المجاهدون تشكيلات ثوارهم إلى ثلاث فئات :

أ ـ الفئة الاولى : وهي فئة المجاهدين المتفرغين للثورة والذين يعتصمون في الجبال وهم الذين كانوا ينفذون عملياتهم ضد قوات الانتداب ونسف خطوط

البترول والمنشآت الحيوية الأخرى .

ب ـ الفئة الثانية : وتتكون من فدائيي المدن الذين يمارسون حياتهم المعتادة ولكنهم ينجزون مهاماً عسكرية معينة مكلفين بها من قبل قيادتهم وهذه العمليات كانت ذات أثر فعال في تصفية العرب الذين يتعاونون مع السلطات البريطانية (5) بالإضافة إلى الضباط البريطانيين الذين كانوا يقومون بتعذيب المعتقلين العرب .

جـ ـ الفئة الثالثة : وهي أكبر الفئات عدداً وتسمى الأنصار أو تشكيلات الرديف الذين كانت أكثريتهم من الفلاحين وبقية أفراد الشعب وهم الذين كانوا يهبّون إلى حمل السلاح ونجدة المجاهدين عند نشوب أية معركة في منطقتهم .

وتشتد المعارك وتتوالى يوماً بعد يوم والثوار لا تلين لهم قناة بعد أن صمّموا على الجهاد حتى التحرير الكامل . ولابدّ هنا من ذكر بعض المعارك التي جرت بين أيلول 1936 حتى أيار عام 1939 لنتبين أهمية هذه المعارك والخسائر التي أوقعتها في صفوف سلطات الانتداب واليهود ونتائجها على المستوى السياسي والمعنوي .

أ - معركة بلعا :

بناء على معلومات فرع التجسس (الاستطلاع) بأن قافلة من القوات البريطانية مؤلفة من عشرين سيارة عسكرية معززة بالدبابات سترابط بين طولكرم ونابلس لحماية القافلة اليهودية التي تمر على هذا المحور يومياً . قام الثوار بزرع الألغام على جانبي الطريق ونصبوا عدة كمائن من الثوار على الجبال المحيطة وعلى جانبي الطريق . فعندما وصلت القافلة البريطانية فجر الثوار الألغام وانقضّوا على الجند الهاربين من السيارات والذين تركوا دباباتهم مذعورين وكانت معركة كبرى استخدمت فيها القوات البريطانية الطيران والمدفعية . ولم ترهب هذه القوات العرب حيث جاء الفلاحون والنسوة من القرى المجاورة لمساعدة الثوار وتقديم الدعم لهم حتى المساء . وكانت خسائر العدو فادحة في العتاد والأفراد . اعترفت القوات البريطانية بإسقاط طائرتين وقتل أربعة ضباط وصف ضابط بينما استشهد عشرة من الثوار بينهم عدد من الشام والعراق (6) وهذا يدل على وحدة المعركة ووحدة المصير بين العرب جميعاً .

ب- معركة ترشيحا :

جرت هذه المعركة بين نهاريا وترشيحا قرب عكا على الطريق العام حيث كمن حوالي ستين ثائراً واشتبكوا مع قافلة بريطانية معززة بالطائرات استمرت من منتصف النهار حتى حلول الظلام حيث استشهد فيها تسعة وعشرون بطلاً من الثوار وجُرح ثمانية أبطال أخلوا من أرض المعركة .

أما خسائر القوات البريطانية فكانت حرق سيارة شركة وقتل كل من فيها واستولى الثوار على أسلحتهم من الرشاشات والمسدسات والذخيرة .

ج- معركة جبع :

دارت هذه المعركة في سهل قرية جبع (قضاء جنين) حيث كانت مجموعة من الثوار تتمركز في المنطقة وتقدمت قوات بريطانية تدعمها الطائرات والمدافع وطوقت الثوار من جميع الجهات . فقام الثوار بالهجوم على عدد من الجنود البريطانيين بالسلاح الأبيض وقتلوا عدداً منهم وأخذوا أسلحتهم ودارت بينهم معركة شرسة كاد يقع فيها الثوار بالأسر لولا أن سمع أهل القرى المجاورة صوت طلقات الرصاص فتدفقوا إلى المكان وهاجموا البريطانيين وفكّوا الطوق عنهم ثم انسحبوا بعد أن كبدوا العدو خسائر فادحة وأسقطوا له طائرة ودمروا عدداً من المصفحات وجرح وقتل من كان فيها . أما خسائر الثوار فكانت أربعاً وخمسين إصابة بين قتيل وجريح .

د- معركة بيت جبرين :

كانت معركة كسابقاتها استخدم فيها العدو المدفعية والطيران لإرهاب الثوار في المنطقة (جبل برقة وبيت جبرين) استمرت المعركة حوالي خمس ساعات استشهد فيها حوالي اثنين وعشرين مجاهداً وعدد كبير من القوات البريطانية بين قتيل وجريح . ووقعت عدة معارك أخرى لا مجال لذكرها الآن . كمعركة الخضر التي استشهد فيها القائد سعيد العاص وجرح فيها عبد القادر الحسيني . واستمرت المعارك متواصلة بدون انقطاع وتكاد لا تخلو مدينة أو قرية لم تقع فيها معركة بين الثوار والبريطانيين . حتى بلغت الخسائر حسب مصادر بريطانية لغاية 15 تشرين الأول عام 1936 على الشكل التالي :

1020 إصابة من الثوار منها 197 قتيلاً

388 إصابة من اليهود منها 80 قتيلاً

125 إصابة من القوات البريطانية منها 21 قتيلاً

إتلاف ثمانين ألف شجرة من الحمضيات و 62 ألف شجرة مثمرة من 64 ألف شجرة حراجية وستة عشر ألف دونم من المزروعات وكان من جراء هذه الخسائر الفادحة في صفوف البريطانيين واليهود أن اضطرت الحكومة البريطانية لتشكيل لجنة تحقيق بتاريخ 29 تموز غام 1936 سُميت لجنة بيل كانت مهمتها تهدئة مشاعر العرب وتقديم الوعود الكاذبة لهم لإيقاف الثورة وإنهاء الإضراب العام، وفعلاً أوقفت اللجنة العربية الثورة وأنهت الإضراب العام بناء على توصية بعض زعماء العرب.

انهت اللجنة تحقيقاتها بتاريخ 11 كانون الثاني عام 1937 وقدمت توصياتها التي تتضمن المطالب التالية:

- العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي الفاشلة التي انبثقت عن وعد بلفور وإعادة النظر في جميع النتائج التي نتجت عنها والتي الحقت الأضرار والأخطار بكيان العرب وحقوقهم.
- إيقاف الهجرة اليهودية إيقافاً تاماً وفوراً.
- منع انتقال الأراضي العربية لليهود منعاً باتاً.
- حل قضية فلسطين على الأسس التي حلت عليها قضايا العراق وسورية ولبنان وذلك بإنهاء عهد الانتداب وعقد معاهدة بين فلسطين وبريطانيا تقوم بموجبها حكومة وطنية فلسطينية ذات حكم دستوري يتمثل بجميع العناصر الوطنية ويضمن للجميع فيها العدل والتقدم والرفاهية (7). كما أوصى التقرير بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود (دولة يهودية ودولة فلسطينية أما الأماكن المقدسة وما حولها فتوضع تحت إدارة الحكومة البريطانية كمنطقة انتدابية .(8)

تضم المنطقة اليهودية المقترح إنشاؤها ما يلي:

- القسم الشمالي من فلسطين (الجليل) والسهل الساحلي الممتد من تل أبيب جنوباً حتى الحدود اللبنانية تفصلها يافا العربية عن القسم الرئيس من الدولة اليهودية ويصلها ممر من مدينة القدس.

الدولة العربية المقترحة: تتألف من بقية فلسطين.

قوبل هذا المقترح بالرفض من قبل العرب واليهود على السواء. العرب لأنه لا يحقق آمالهم بحقهم بأرضهم ووطنهم ومنع اغتصاب جزء منها. ومن اليهود لأنه لا يلبي مطالبهم التوسعية بوضع كل فلسطين الانتدابية تحت تصرفهم حسب وعد بلفور.

وقد كانت اللجنة العربية تعي تماماً دور بريطانيا الاستعماري في التقسيم فأصدرت البيان التالي: (إن فلسطين جميعها هي جزء لا يتجزأ من البلاد العربية، ولا يمكن للعرب أن يفرطوا في شبر واحد من أراضيها ليكون ملكاً لغير العرب أو موضع سيطرة لليهود أو غيرهم سياسياً أو إدارياً. عادت الثورة إلى الانفجار من جديد آخذة طابع الاتساع والشدة بعد أربعة أشهر من الهدوء النسبي.

وأول شرارة فجرت الثورة من جديد وهزت كيان حكومة الانتداب هي الهجوم على حاكم الجليل (المستر اندروز) ومقتله يوم 26 أيلول 1937 وكان رد القوات البريطانية صارماً حيث اعتقلت آلاف الشبان العرب وأغلقت مكاتب اللجنة العربية وجميع اللجان الأخرى واعتقلت جميع أعضائها. فرد الثوار على هذه الأعمال الإرهابية بالهجوم على حاكم جنين (موفات) الذي نكل بالعرب، وقتلوه رغم الحراسة المشددة التي كانت على باب مقره، وهذه العملية البطولية جعلت حكومة الانتداب تفقد وعيها وشنت عدداً من الهجمات على المدن والقرى العربية بحثاً عن الثوار ونفت عدداً كبيراً من زعماء الحركة الوطنية إلى سيشيل أما الباقون فقد فرّوا إلى خارج الوطن (فلسطين) وهرب المفتي إلى بيروت. كل هذه الأعمال الهمجية البريطانية لم تزد الثوار وشعب فلسطين إلا غضباً وقوة وهجموا على الثكنات البريطانية والمستوطنات اليهودية وعلى المصالح الاقتصادية البريطانية واليهودية وأتلفوا خطوط أنابيب نفط العراق وأشعلوا فيها النيران. إلى أن بلغت خسائر القوات البريطانية حتى أواخر عام 1937 حوالي مئة قتيل وأكثر من مئتي جريح.

وفي بداية عام 1938 بدأ الثوار ينظمون صفوفهم وعمدوا إلى تشكيل لجنة أطلق عليها (اللجنة المركزية للجهاد) واتخذت مقرها مدينة دمشق وتولى إدارتها المناضل عزت دروزة بتوصية من مفتي فلسطين المقيم في بيروت ومن أبرز زعماء الثورة (عبد الرحيم حاج محمد وعارف عبد الرزاق من نابلس وعبد القادر الحسيني من القدس ويوسف أبو درة من الجليل) وقد استطاع هؤلاء الثوار

إقامة اتصالات مع الفلاحين في القرى ومع المثقفين في المدن ، للاستفادة من ثقافتهم وتخطيطهم الجيد . كما نظموا أنفسهم في خلايا صغيرة تعمل على تدريب الفلاحين والثوار الجدد الملتحقين بالثورة وبدت أشبه بجيش نظامي يعقد المحاكمات للخونة ويلاحق القوات المعادية أينما كانت ، حتى بلغت بهم الجرأة بالهجوم على المدن وتحريرها وتطهيرها من اليهود كالخليل وبئر السبع والقدس ، والاستيلاء على مركز الشرطة والسلاح والهجوم على مدينة طبريا التي كان معظم سكانها من اليهود ، وحرروها وقتلوا أكثر من مئة وعشرين يهودياً .

ونتيجة نمو الثورة واتساعها وقوتها وازدياد نشاط الثوار اضطرت القيادة البريطانية إلى إجراء تغييرات في بعض المناصب الهامة في فلسطين فعينت مندوباً سامياً جديداً يدعى (السر هارولد مكمايكل) وقائداً عسكرياً جديداً يدعى (اللفتنانت جنرال هاينتغ) حيث بدأت هذه القيادة الجديدة بتسليح اليهود لمساعدة القوات البريطانية في عملياتها العسكرية ضد العرب .

وفي الوقت نفسه الذي كانت فيه القوات البريطانية في فلسطين تعاني من المتاعب والضغط من قبل الثوار حاول جمال الحسيني أن يعلن المطالب الوطنية فأرسل إلى المندوب السامي رسالة عرض فيها المطالب الوطنية التالية بدلاً من تقسيم فلسطين : (إننا على استعداد للموافقة على إبقاء السكان المحليين من اليهود في فلسطين مع منحهم حقوقاً كاملة ومساوية لحقوق المواطنين الآخرين وإشراكهم بنسبة عدد سكانها في جميع المؤسسات الحكومية ومنح اليهود في الأماكن التي يقطنونها وحدهم حكماً ذاتياً) .

لكنّ هذه المبادرة الطيبة من قبل العرب لم تلق أي تجاوب لأن اليهود لم يكونوا راضين بغير فلسطين بكاملها وطناً قومياً لهم . وبالوقت نفسه فإن سلطات الانتداب كانت تريد سحق الثورة العربية قبل البدء بأية مفاوضات مع العرب . لذلك اتخذت سلطات الانتداب إجراءات صارمة ضد العرب وأهمها بناء شريط من الأسلاك الشائكة بطول ثمانين كم على الحدود بين فلسطين وسورية ولبنان وشريط بطول / 40 /كم على الحدود مع الأردن سمي (خط تيجارت) وعرض هذا الخط ثلاثة أمتار وارتفاعه ثلاثة أمتار وزرعت خلاله مصائد ألغام وخمس عشرة نقطة استناد مجهزة بكافة أنواع الأسلحة ومعدات الكشف وذلك لمنع تسلل الثوار من البلدان العربية المجاورة إلى فلسطين ولكن الثورة استمرت بكل زخمها رغم الإجراءات التعسفية والتأديبية الشديدة من قبل سلطات

الانتداب ضد السكان المساندين للثورة .

كما أعطت السلطات الانتداب الضوء الأخضر للعصابات الصهيونية بضرب عدد من القرى والمدن العربية كوضع القنابل المتفجرة في الأسواق المكتظة بالسكان العرب كسوق الخضر في حيفا الذي استشهد فيه حوالي / 23 / عربياً وجرح حوالي / 79 / آخرين ، فرد العرب على هذه الأعمال الإرهابية بالهجوم على المستعمرات اليهودية وقتل عدد كبير من الإرهابيين الصهاينة . فما كان من السلطات البريطانية ، إلا أن عينت الجنرال (هاينتغ) حاكماً فعلياً لفلسطين ونظم فرقتين عسكريتين مدعمتين بعدد من أسراب الطائرات والبوليس البريطاني بالإضافة إلى قوة يهودية قوامها ستة آلاف جندي ودخل بهذه القوة إلى المدن الفلسطينية لتفتيشها واعتقال عشرات الثوار . وانضمت إلى هذه القوة وحدة من الهاغانا ـ الصهيونية بقيادة الإرهابي (إسحاق ساديه) للقيام بالهجوم على المدن والقرى لإرهاب السكان العرب وقتلهم .

ولكن هذه القوة الغاشمة ورغم دعم العصابات الصهيونية لها لم تتمكن من إخضاع السكان العرب أو القضاء على الثورة .بل على العكس زادت الثوار تمسكاً بالجهاد فقاموا بالهجوم على المعسكرات البريطانية والمستعمرات اليهودية وقتلوا عدداً كبيراً من الجنود والضباط وأفراد العصابات الصهيونية . وفي شباط 1939 عُقد مؤتمر المائدة المستديرة في لندن حضره جميع الأطراف (إنكليز وعرب ويهود) وكان كغيره من المؤتمرات التي لا تعترف بالحق العربي ففشل فشلاً ذريعاً مما حدا بالعرب إلى استمرار الجهاد بعد أن تأكد لهم ثانية أن القوة وحدها كفيلة بإعطائهم حقهم بالاستقلال والتحرر وقاموا بالهجوم على اثني عشر موقعاً بريطانياً ويهودياً وقتلوا أكثر من مئة شخص من الجانبين الانكليزي واليهودي وجرح مئة آخرين . واستشهد من الثوار أكثر من سبعين مجاهداً واعتقل أكثر من ألف من العرب . وتحت تأثير هذا الضغط من قبل الثوار اضطرت بريطانيا مرة أخرى إلى إصدار الكتاب الأبيض الثاني بتاريخ 17 أيار 1939 ينص على ما يلي : (ليس من سياسة الحكومة البريطانية أن تصبح فلسطين دولة يهودية وبالوقت نفسه لا تستطيع أن توافق على جعل فلسطين دولة عربية مستقلة . لذا فإن الهدف الذي نرمي إليه هو أن تشكل خلال عشر سنوات حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط مع المملكة المتحدة بمعاهدة تضمن للبلدين مصالحهما التجارية والحربية في المستقبل ضماناً مرضياً . وقررت الحكومة البريطانية السماح

بدخول / 75000 / مهاجر من اليهود خلال السنوات الخمس القادمة . أما بشأن الاراضي فستخول المندوب السامي سلطات تمنع بموجبها انتقال الاراضي إلى اليهود . وسيعمل بهذا البيان اعتباراً من تاريخه وطيلة فترة الانتداب).

رفض هذا الكتاب رفضاً قاطعاً من قبل الوكالة اليهودية وأصدرت بياناً جاء فيه « إن أبطال اليهود الذين أعطوا دليلاً ساطعاً على قوتهم وصلابتهم في تأسيس الوطن القومي اليهودي ، يعرفون كيف يدافعون عن الهجرة اليهودية والوطن القومي اليهودي والحرية اليهودية ».

كما رفض العرب الكتاب الأبيض لأنه لا يحقق آمالهم بالاستقلال واستمرت الثورة حتى بداية الحرب العالمية الثانية وأعلن العرب تأييدهم لبريطانيا في الحرب ضد ألمانيا على أمل أن توافق بريطانيا على إعطاء العرب الاستقلال بعد الحرب ولكنها تنكرت لكل وعودها للعرب وتآمرت مع الصهاينة وأمدتهم بالسلاح والعتاد وانسحبت بعد أن مكنتهم من بناء المستوطنات وتسليحها بأحدث أنواع الأسلحة في ذلك الوقت وحتى الطائرات ثم وقعت حرب عام 1948 في ظروف لا تحسد عليها . وضاعت فلسطين وبدأ الصهاينة ينكلون بالعرب وينتقمون منهم ولا يزالون حتى الآن .

مصادر ومراجع البحث

1 ـ شفيق الرشيدات : فلسطين ـ تاريخاً وعبرة ومصيراً ـ ج 1 ط 1 بيروت 1961 .

2 ـ مذكرات حاييم وايزمن ، لندن ، 1952 .

3 ـ د. عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ـ ط 2 بيروت 1973 .

4 ـ د. كامل محمود خلة : فلسطين والانتداب البريطاني ـ مركز الأبحاث ـ ط 1 بيروت 1974

5 ـ صالح مسعود أبو يصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ـ دار الفتح للطباعة والنشر ـ بيروت ط 2 ـ 1955 .

6 ـ د. إبراهيم أبو لغد : تهويد فلسطين ـ مركز الأبحاث الفلسطينية ـ ترجمة أسعد رزوق ـ ط 1 رباط 1972 ـ مجلة الأرض للدراسات الفلسطينية ـ عدد آب 1987 .

7 ـ عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) : كفاح عرب فلسطين ـ منشورات مؤسسة اللاجئين الفلسطينيين العرب ـ دمشق ط 1 آب 1964 .

8 ـ د. جورجي كنعان : العنصرية اليهودية ـ دار النهار للنشر ـ ط 1 / 1973 .

من الحرب من أجل السلم إلى الضربة الاستباقية

د. عزت السيد أحمد ★

لعل التطورات الأخيرة هي التي جعلتنا نستحضر آخر لقاء مع الابيستمولوجي كارل بوبر ، الذي أجرته مجلة « دير شبيغل » الألمانية لنجعله نقطة انطلاق . فقد صرح بأشياء جد خطيرة ، تستحق وقفة تأمل لا لأنها تمس الواقع العربي ، بل لأنها تمس الإنسانية جمعاء ، وهي ما قد وجد صداه المباشر في آخر مؤتمرات الناتو . فماذا قال ؟

رأى بوبر أن الإنسانية قد وصلت إلى مرحلة متطورة جداً من الرقي والتقدم وينبغي معها تحقيق الأمن والسلم العالميين ، هذا كلام جميل حقاً . ولكن كيف يتم تحقيق هذا السلم ؟

هنا في حقيقة الأمر يكمن جوهر المشكلة . إذ يسوغ هذا الفيلسوف الهرم سلوك كل الطرق الممكنة لتحقيق هذا السلم حتى ولو كانت الحرب . بل يرى ضرورة الحرب لتحقيق السلم ، ويعني بذلك القضاء على أية قوة ناشئة ، وتدمير أي دولة تفكر في امتلاك الأسلحة النووية أو الأسلحة القوية التي تهدد الأمن والسلم العالميين ، إذ يرى أن ثمة دولاً ليست مؤهلة البتة للحياة الحضارية المتطورة ومثل هذه الدول إذا امتلكت أي قوة عسكرية فإنها ستشكل خطراً على الأمن والسلم العالميين ، والدول العربية منها ، ودول العالم الثالث قاطبة ، بل ثمة دول متطورة حضارياً وتقنياً لا ينبغي لها أن تملك أسلحة (استراتيجية) أو

★ كاتب وباحث/ أستاذ في جامعة تشرين (سورية).

نووية . ويعلن كارل بوبر صراحة أنه مع الهيمنة الأميركية ، وتفردها في قيادة العالم سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ، ومع تنصيبها شرطياً لحفظ الأمن والسلم العالميين، وذلك ببقائها وحدها ممتلكة للسلاح النووي وعوابر القارات ... حتى تتمكن من القيام بهذا الدور .

صحيح أن الولايات المتحدة تسعى جاهدة لانتزاع مثل هذه الشهادة من أفواه الشعوب كلها ، إلا أنها لم تنتظر هذه الشهادة لتسوغ لذاتها على عيون الأمم والشعوب أن تعزز ترسانتها النووية والحربية ، وتنزع السلاح النووي من أيدي هذه الشعوب ، وتقضي على كل المصانع الحربية في كل دول العالم . فعلى الرغم من كل معاهدات نزع السلاح والحد من التسلح التي عقدتها الولايات المتحدة الأميركية مع غيرها من الدول يصرح المسؤولون الأميركيون باستمرار أن الولايات المتحدة لن تخفض إنتاج الأسلحة النووية ، وليبقى نزع السلاح وحظره من نصيب الدول الأخرى وحدها .

فماذا يعني هذا الكلام الذي أدلى به بوبر ؟

بادىء ذي بدء ، لا شك في أننا مع السلام ، ومع حفظ الأمن ولا شك في أننا نشرئب بكل مشاعرنا إلى حياة مستقرة ، هانئة ، خالية من كل ما يكدر صفوها أو يعكر نقاءها ولا شك في أن هذا ما تتطلع إليه الإنسانية جمعاء . ولكن هذا السلام ينبغي أن يكون عادلاً شاملاً ، لا جائراً مائلاً . وما أراده كارل بوبر فيه الكثير من المغالطة وتزييف الوعي . لن نفترض حسن أو سوء النية في الكلام هذا المفكر العجوز ـ وإن كان متطرفاً في آرائه ومواقفه من العرب ـ ولن نفترض أن ما قاله تخريفات هرم ، بل سنأخذه على حقيقته المنطلقة من أرضية فكرية واقعية، يعيشها الغرب عموماً . الغرب الذي وصل إلى أوج تقدمه العلمي والثقافي والحضاري ، وأراد أن يعيش حياة مستقرة هانئة ، بعيدة عن الحرب والكوارث ، لا سيما بعد انتهاء الصراع بين قطبي العالم ، الذي كان يخيم برعبه على الجميع .

ولكن هذه الحياة لن تتم إلا على حساب الآخرين ، وإن كانوا لا يفهمون الأمر

بهذه الصورة ، وإنما يفهمونها على أنهم في أعلى درجات سلم الرقي والتطور ، وهم لذلك مؤهلين للتفكير المنطقي السليم . أما بقية الشعوب التي يعيش معظمها في الحضيض ـ بفعل الاستعمار والحصار الغربي ـ فهي شعوب همجية، بدائية متوحشة ، وهي لذلك غير قادرة على كبح جماح رغباتها وأهوائها ، وغير مؤهلة للحياة المتطورة والراقية ، ومن ثم فإن امتلاكها أسلحة قوية سينمي لديها الروح العدوانية ويثير وحشيتها وهمجيتها ، وهذا ما يهدد الأمن والسلم العالميين .

لا شك في أن في هذا الاعتقاد جور وحيف كبيرين بحق كل الشعوب ، لا سيما الشعوب المقهورة المستلبة ، لأنه يقوم على أسس واهية ليس فيها من العدل شيء ، وليست النزاهة من أغراضه البتة . ذلك أن السلام على هذه الطريقة سلام أميركي ، أو غربي لا سلام إنساني ، لأن الغربي هو الذي سيعيش بأمن وسلام ، وكأنه هو الإنسان الأنموذج ، الأمثل ، الذي يستحق الحياة ، وبقية الشعوب غير مأسوف على موتها لأنها لا حق لها في الحياة ، وإن عاشت فينبغي أن تعيش على هامش الهامش ، محرومة من كل شيء حتى من العزة والكرامة ، وهذه حقيقة واضحة جلية لدى غالبية المثقفين في العالم كله . وقد أوردت مجلة (دير شبيغل) ذاتها في عدد سابق ما يعزز هذا المعنى ويؤكده ، وذلك في لقاء مع فرانس بوشار رئيس المجلس النيابي في سلوفينيا ، إذ يجيب عن سبب دعم الغرب للجيش الصربي للاعتداء على السلوفانيين قائلاً : (لأنهم يريدون الحفاظ على السلام (سلامهم) ، وضمان مستوى المعيشة المرتفع في بلادهم بأي ثمن ، إنهم أنانيون وانتهازيون) .

وبهذا المعنى يتضح ما ذهب إليه كارل بوبر من ضرورة اللجوء إلى الحرب حفاظاً على السلم ، وضرورة احتفاظ الولايات المتحدة الأميركية بترسانتها النووية والعسكرية كي تتمكن من القيام بهذا الدور . ولقد كرست الولايات المتحدة جهوداً كبيرة لتظهر على أعين العالم على أنها الشرطي الأمين لحفظ الأمن

والسلام العالميين ، ولذلك اندفع الكثيرون بتأثير الدعاوى التي تروجها الولايات المتحدة إلى إسباغ الشرعية على فرض الهيمنة الأميركية ، وبقائها وحدها سيدة العالم ، تصول وتجول كما يحلو لها باسم الشرعية الدولية ، وحفظ الأمن و السلام العالميين هذين اللذين لا يتعدى نعيمها الغربي عموماً ، والأميركي خصوصاً.

قد يعتقد بعض إننا نميل إلى انتشار الأسلحة النووية ، ونشجع الحروب ، والحق أن هذا الاعتقاد غير صحيح ، فلسنا نميل إلى مثل ذلك البتة ، ولكن ان تعيش فئة في يدها كل عناصر القوة والبطش ، ويعيش غيرها مجرداً من كل مقومات الدفاع عن النفس ، لا حول له ولا قوة ، في الوقت الذي ينهش فيه القوي الضعيف ، ويعيش عالة عليه ، يحرمه الضروريات ليؤمن لذاته الكماليات ، ليس فيه من العدل شيء ، بل فيه غاية الإذلال والإهانة لهذه الشعوب .

والمتتبعون للأحداث والأخبار يدركون هذه الحقيقة الناصعة ، ان الغرب يريد أن يجعل من شعوب العالم خدماً وعبيداً ، يسهرون على راحته وهنائه ، يقدمون ما يحتاجه ويلزمه ، وفي مثل ذلك قالت صحيفة (أوغلوبور ـ الدنيا) البرازيلية : (إن خطة الرئيس بوش لنصف الكرة الغربي تقضي بإعادة تنظيم عسكرية شاملة تصل إلى حد التمييز العنصري التقاني (التكنولوجي) وتحويل الصناعات الحربية البرازيلية بكل ما أحرزته من تقدم تقاني في العقدين الأخيرين إلى مصانع تجميع رخيصة لمنتوجات مثل أحذية الجنود ، تلزم أميركا) .

إن هذا الكلام ـ كلام بوبر ـ على ظاهر حلاوته وطلاوته لا يعدو كونه صورة من صور التفكير التعصبي الأعمى الذي ينطلق من زاوية رؤية واحدة ، حادة ، تتفق مع رؤية نيتشه في قتل المرضى والعجزة والمشوهين ... كي يحيا الإنسان الكامل حياة هادئة هانئة ، ولينبثق الإنسان الخارق ـ الفائق من بين هؤلاء الناس الكاملين ، وتكون له الأولوية في كل شيء ... إن الغرب بهذا المنظار هو الإنسان الخارق ـ الفائق ، وبقية الشعوب هم المرضى والعجزة والمشوهون ...

إن ما قاله كارل بوبر وما يسعى النانو إليه كلمة حق أريد بها باطلاً ، لانها لم تأت عفو الخاطر ، ولا أريد منها نقاء مضمونها ، وإنما هي تتويج نظري لسياسة الولايات المتحدة الأميركية وأهدافها التي تصبو منذ زمن طويل إلى التفرد في زعامة العالم ، سالخة لذلك عزيز جهودها وطائل أموالها ، وقد تجلى ذلك على مختلف الصعد والمستويات وكما قال ايف أود : (المبدأ العام الذي ينبني عليه عمل الحكومة الأميركية كله في هذا المجال بسيط جداً ، ومكوّن منذ وقت طويل ومعرض اقل فاقل للانتقاد داخل الجهاز السياسي الأميركي ، انه يستند على حقيقة مزدوجة فمن جهة حرصت الولايات المتحدة ، في مشروعها لزعامة العالم، أن تؤثر في (بيئتها العالمية) ، بشكل كامل متنوع تماماً بقدر الإمكان ، ومن جهة أخرى ، فمنذ عدة عقود من السنين، اكتسبت النزاعات العالمية الكبرى بعداً عقائدياً متزايداً باستمرار ـ فعلى الولايات المتحدة ، لكي تتدخل بطريقة شاملة ومتماسكة ، أن تشترك إذن في خضم هذا (التنافس على عقل البشر) ... ـ ذلك أنها ـ لن تستطيع أبداً أن تكون الزعيم الذي لا ينازع إذا لم تتمكن من (غزو عقول البشر)).

وانطلاقا من هذه الحقائق ، وبالاستناد إليها ، فان الولايات المتحدة الأميركية كما قال سمير أمين : (تملك تصوراً عالمياً لهيمنتها الشاملة ، الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، وهي ـ لذلك ـ القوة الوحيدة التي نظمت قياداتها العسكرية على الصعيد العالمي) بما يحقق لها أغراضها ومطامعها ، ويمكنها من التدخل السريع في أي زمان ومكان لحسم أية مشكلة قد تعترضها ، أو تقلق راحتها .

ومع انحلال الاتحاد السوفيتي وانهياره لاح للأميركيين أن مشروعهم في توحيد العالم تحت رايتهم وأفكارهم وأساليبهم ، وبقيادة عصاهم ، قد غدا أمراً قريب المنال ، وتجلى النظام العالمي الجديد بكل ما يحمله من دلالات ومعاني العدل والمساواة والإخاء والتعاون والأمن والسلام ... هذه الدلالات والمعاني التي لم تفهم إلا من جانب واحد فقط هو الجانب الأميركي خصوصاً ، والغربي

عموماً ، ولقد تجلى هذا الفهم الأحادي الجانب للسلام العالمي إذ (قررت الولايات المتحدة الأميركية تدشين المرحلة الجديدة عن طريق الحرب لإظهار :

(إن العولمة الأميركية ستفرض على شعوب آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية بالعنف ، وبالعنف وحده ، مع التهديد بالإبادة الجماعية في نهاية المطاف . وإن أوربا واليابان ، هشتان ومتوقفتان ومرتهنتان للقوات الأميركية في نهاية التحليل ، وهذا ما يفصح عنه المفكرون الأوربيون بين الحين والآخر . وكان آخرهم منذ أيام تيرنس تيللور المدير الحالي للمعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن إذ قال : (إن أميركا لن تسمح لأوربا بمنافستها ، وأوربا لا تفكر أصلاً بمنافسة الولايات المتحدة) .

وبذلك يتضح جلياً معنى (الحرب من أجل السلم) . الشعار الذي أطلقه كارل بوبر والذي لا يفترق كثيراً عن الفهم الأميركي له ، بل الذي أعلنته إدارة الرئيس جورج بوش الابن بصيغة فجّة تخلو من المعاني النبيلة هي ما أطلق عليها الحرب الاستباقية ... ويبدو جلياً أن احتفاظ الولايات المتحدة الأميركية بترسانتها النووية وكامل آلتها الحربية ، وتفردها في قيادة العالم ، ليس لحفظ الأمن والسلم العالميين ، وإنما لحفظ الأمن والسلم الأميركيين ولاستمرارها في نهب ثروات وخيرات الشعوب المقهورة ، المغلوبة على أمرها ، وحماية الحلفاء الغربيين من الأخطار التي تهددهم لا سيما الخطر القادم من الجنوب ... من الآسيويين والأفريقيين الذي راحت تبلوره الولايات المتحدة الأميركية ، وتجعل منه (فزاعة) أو (بعبعاً) جديداً ، يحل محل الاتحاد السوفيتي المنهار ، لتسوغ بذلك استمرار هيمنتها ونفوذها على العالم الغربي أيضا.

وأخيراً : وأمام هذا الواقع الأليم الذي يتغير إلى الأسوأ ـ بالنسبة لنا ـ بوتائر متسارعة ، يغدو من الواجب علينا أن نصحو بعدما طالت غفوتنا ، وإن نقف أمام ضمائرنا وقفة حق ، واضعين أصابعنا على الجرح الذي يؤلمنا ، ونتحسسه جيداً كيما نحسن علاجه بحسن اختيار الدواء الناجع ، ولنعرف بعد ذلك موقفنا من

هذا العالم الذي نعيش فيه ... هل نحن غرباء أم شركاء ؟ دخلاء أم أصلاء ؟... فقراء أم أغنياء؟... ضعفاء أم أقوياء؟... قاصرون أم قادرون؟... وعند الإجابة عن هذه الأسئلة إجابة صحيحة دقيقة، نستطيع أن نتبين موقعنا في هذا العالم ، وإذ ذلك إما أن نسلم أمرنا إلى غيرنا ، راضين بانقيادنا لهم ، منفذين ما شاؤوا من الأحكام والأوامر والتعليمات ... أو أن نقف وقفة عزّ وكرامة ، فارضين احترامنا على الآخرين، مشاركين مشاركة حقيقية في وضع أسس النظام العالمي الجديد ، غير مهمشين ولا مرميين على (مزبلة) التاريخ .

إنّ العرب يمتلكون طاقات وقدرات وموارد هائلة تجعلهم يقفون في طليعة بلدان العالم أهمية غير منازعين في ذلك ، وإن لم ندرك هذه الحقيقة ونتداركها بالتدابير اللازمة في أسرع وقت ، وقبل فوات الأوان، فسنكون أول أمة في التاريخ تفضل الذلة على العزة ، والضعف على القوة ، والخضوع على السيادة والانقياد على القيادة ، على الرغم من توافر كل الإمكانات اللازمة والضرورية لذلك ...

النظام العالمي الجديد والثقافة القومية اتجاهات التناقض والتفاعل

أحمد الحاج علي ★

تطرح العولمة في صلب أهدافها موضوعة استبدال منظومة قيم الشعوب ومعاييرها الثقافية والمسلكية بدافع البحث عن إنجاز ما يقترب من حالة اندماج القيم والثقافات مع مفاهيم العولمة ذاتها ومكونات حركة سيرها من المركز إلى الأطراف ومعدلات الناتج العام الذي يتوخى النظام العالمي الجديد اقتطاعه من هوية العالم ومصالح الشعوب ومقدرات الأمم المستضعفة، ولعله في وحدة هذا الموضوع تحتاج المسألة إلى التعمق ليس بقصد الوصول إلى مصادر ونتائج متفق عليها فحسب، بل لكون نسق القيم والثقافة يحتمل في ذاته الرسوخ والتجذير من جهة، والتركيب والتعقيد من جهة أخرى، والذين يروجون لنظام العولمة يدركون ذلك تماماً ويضعون في أصل حساباتهم أن الإنجاز الأخطر لنظام العولمة إنما يتمثل في تدجين البعد الثقافي للشعوب، وفي استبدال منظومات القيم المستقرة بأخرى تتوحد مع المسار الاقتصادي والمادي وتستثمر في حالة التمهيد الضرورية لانتشار نمط العولمة وحالة التسويق المرافقة لكل مرحلة وصيغة في نظام العولمة ذاته، ولعله في هذا السياق لا بد من إفراد الفقرات التالية بطريقة إقرارها أولاً ومتابعة تفاعلاتها البينية ثانياً.

-فالفقرة الأولى وهي العنوان والمدخل تكرسها فكرة السيطرة المادية لأن

★كاتب وباحث (سورية)

الهدف النهائي هو تحصيل المكسب بقطع النظر عن آثاره السلبية في إفقار الشعوب وتعقيد نمط حياتها، إن الربح والاستهلاك معاً لا يقيمان وزناً للمناخ المعنوي عند الآخرين، وإذا ما ظهر أن هذا المناخ يعاند فكرة الربح والاستهلاك، فإنه من الضروري عندها أن يجري التعامل مع الثقافة وعوامل الإرادة على قواعد تبددها من الداخل وتحيلها إلى أجزاء يمكن ابتلاعها واستيعابها ومن ثم إدماجها لصالح السيطرة والاستغلال الماديين.

-والفقرة الثانيةأن فرض الإرادة السياسية من الخارج يبقي العجز قائماً في سيطرة النظام الجديد على العالم، إذ إن مساحة معلومة ومجهولة من الاحتمالات تبقى مفتوحة على التكون التاريخي وتبقى إمكانية رفض العولمة قائمة فعلاً ما دامت المسألة تتصل بالهيمنة وقسر المواقف وتغييب إرادات الطرف الآخر وهنا تبقى أمام العولمة خيارات محدودة تقع ما بين حالة القسر الخارجي والتزييف الداخلي المنظم.

-وأما الفقرة الثالثةفإنما تستحوذ عليها حالة المفهوم التاريخي والحضاري للثقافة العربية ذاتها فمازال هذا المفهوم يحمل في أبعاده مستقرات عقائدية ومعطيات فكرية وأصول قيمية تمتلك قوة صيانة الهوية بمقدار ما امتلكت صياغة هذه الهوية أصلاً، ولعله من هذا الباب تشكل الثقافة العربية بتنوعها واستقرارها وبمضامينها المؤتلفة والمختلفة مصدر حجز في وجه تيار العولمة تماماً كما تشكل هدفاً رئيساً لنظام العولمة ذاته في الداخل العربي ومن المؤكد بأن إنجاز شرطي السيطرة الاقتصادية كشرط أول والسيطرة السياسية كشرط ثانٍ لن يكون قادراً على حسم الموضوع بالمستوى الذي تطمح إليه أنظمة العولمة في الغرب، ولا يقلل من ذلك أو يلغيه الدور الذي تقوم به مجمل الأنظمة السياسية العربية من تهاون أمام مشروع العولمة ومن استقدام لاندفاعاته لاسيما في منحى الأهداف القومية الكبرى والمصالح القومية الأساس، وهنا سوف تكون العلاقة ما بين العولمة والسياسة العربية قائمة على التفاهم والتداخل ومبنية على أساس المتبوع والتابع وعند هذا الحد المجرد فلا توجد مشكلة بالمستوى الاقتصادي والسياسي أمام أهداف النظام العالمي الجديد في الوطن

العربي، لكن المسألة الثقافية سوف تفرض نفسها بقوة لأنها في الوطن العربي تعبير دقيق وأمين عن الهوية ومجمل جوانب الشخصية القومية ودرجة التفتح في الثقافة العربية هي على مستوى الأفق حينما تكون التيارات الثقافية والقيمية إنجازاً إنسانياً واختياراً للدرجة الأسمى في القيم التي ينضوي في معالمها كل مجتمع أو نظام يتمسك بمصادر الهوية الإنسانية المشتركة إن الثقافة العربية بهذا المعنى تمتلك خاصتين متلازمتين:

-الأولى خاصية الانفتاح والخصوصية ، فهي بمقدار ما تقوم عليه من موجبات التفاعل مع الآخر والامتداد نحوه والأخذ منه والعطاء له حينما يكون القاسم المشترك هو هوية الإنسان ومصلحة المجموع وتعميم فكرة الخير فإنها في الوقت ذاته تختزن في أبعادها سمات الحذر والميزة الحيوية في الابتعاد عن المزالق والتفريط بمضامينها النوعية والعميقة المستمرة أي أن حالة الانفتاح والتفاعل وحالة الارتداد إلى الخصوصية كلاهما يتحددان من خلال المدار السياسي والمدار الحضاري الذي يحيط بعملية الانفتاح أو الانكفاء ، ولعل هذه الخاصية هي تعبير دقيق عن معنى البعد الثقافي العربي من جهة ، وتأشير عميق على قوة العامل الزمني والحضاري في تشكيلات وأنماط هذه الثقافة .

-والخاصية الثانية تتصل مباشرة بثنائية الذات والآخر وهنا يأتي دور الإنسان العربي كحاضن للثقافة وحامل لمفاهيمها ، فإذا ما جاز أن يضعف الإنسان العربي كما هو الحال الراهن في المسار الاقتصادي والسياسي فإنه لا يتقبل فكرة اندثار العامل الثقافي على ذات المستوى وبذات السهولة ، فالثقافة هنا هي جوهر الشخصية القومية وليس نتاجها أو إطار تحركها أو مرصد التعبير عنها ، فحسب وهكذا فإن المساس بالسياسة والاقتصاد يجدان كثيراً من الثغرات والمنافذ إلى الداخل العربي من الخارج ويحصلان على مجموعات فردية أو منظمة كثيرة للترويج لها من الداخل ولتنظيم مواقع اختراق ومواضع قدم تمكن العامل السياسي والاقتصادي من الانتشار في الجسم العربي في حين لا تكون المسألة بالاتجاه الثقافي والقيمي على هذا النحو فالثقافة العربية هوية وليست لوناً أو وصفاً للهوية ذاتها وكل المحاولات التي تستهدف تدمير هذه الهوية سوف

تصطدم بجدار رد الفعل المنظم والواعي الذي تنتجه خاصية الثقافة في الوطن العربي ولأن الأمر كذلك ، فإن حالة التناقض والاصطدام سوف تشكل الواقع المباشر والحالة التلقائية ما بين النظام العالمي الجديد والشخصية العربية من خلال عاملها الثقافي ، وعند هذا الحد سوف يتفجر إطاران متداخلان من الصراع ، الأول منهما صراع الهوية القومية بمجملها مع منهج ومقومات النظام العالمي الجديد باعتبار أن هذا النظام لا يكتفي بتمرير النسق الاقتصادي والسياسي إلى الداخل العربي لأنه يعلم أن ذلك يعني إبقاء الخطر على درجة عالية من الحضور ومن الواضح هنا أن الصراع يكتسب درجة نوعية بين مفهوم العولمة وعامل الهوية الثقافية والقيمية في الداخل العربي ، ذاك هو الإطار الخارجي بالمعنى الكلي أي ما بين المشروع الخارجي والاستجابة الداخلية لكن ثمة إطاراً آخر للصراع لابد أن ينشأ داخل الإطار العربي نفسه فهناك قوىً ترغب في التفريط بالهوية الثقافية أو تسعى لتدجين هذه الهوية عبر معايير العصرنة والحداثة لصالح العامل الخارجي الأمر الذي يؤدي إلى تفجر الصراع الداخلي في المواقع المتناقضة في البنية العربية ذاتها .

إن نظام العولمة لا يقبل إلاّ التبعية المطلقة . فهو لا يكتفي بمجرد الحصول على المكاسب والامتيازات ، لأن ذلك لا يفضي إلى حالة من الاطمئنان المقبول على ما تنجزه العولمة ، ولا يسعف قوى العولمة ذاتها بالتمادي في مخططها النهم في السيطرة والاستغلال وهناك باستمرار مسألتان تؤديان دوراً حاسماً في فهم هذا الأمر .

1-الأولى : أن حالة التوجس من احتمالات الصحوة في الإنسان العادي وفي المجموع أيضاً تبقى قائمة ولا تشكل حالة التطمين الرسمي أو العفوي مستوى كافياً لبث الهدوء والاكتفاء بقوى العولمة ، أن كاتباً مثل هانت كير وهو نمساوي ومن خلال كتابه (رسالة قصيرة لوداع طويل) يقول : «**في أمريكا تملك الحرية الكاملة لتكون قاتلاً . ويضيف لماذا لا نستعمل الفياغرا في تنشيط العقل ، ومعالجة العجز الروحي ، إن أمريكا تعاملنا على إننا غابة من الأخطاء ، لا يكفي عود ثقاب لتحويلنا إلى حطام ، بل لابد من تدخل القاذفات . فهي التي**

تكتب الأدب من الآن وصاعداً ... ثمة أزمة في الرؤية ، المال الأعمى ، الثقافة العمياء ، إننا أمام إنسان البعد الواحد الذي يتم تصنيعه إما بوساطة التعليب التلفزيوني أو بالضبط الميكانيكي للأحاسيس ، ولا شك أن أمريكيين كثيرين يشعرون بالفخر وهم يشاهدون كيف أن القاذفات ، تنطلق شاعرياً من حاملات الطائرات لكي تزرع الموت في مكان بعيد ...». وهكذا فان مواضع المواجهة الأهم للعولمة سوف تأتي من المصدر الثقافي بصورة عامة ، وتصبح المسألة اكثر وضوحاً حينما تتصل بالثقافة العربية لا سيما بمفرداتها القائمة في الدين والتراث والعادات والتقاليد ، والأدب والفن والتاريخ.. إلى آخر القائمة التي لاتنتهي أبدا ، والتي يصعب اختراقها من قبل قوى العولمة التي سترى نفسها في مواجهة مع قوتين متكاملتين : **القوة الأولى** : تتمثل بالمجموع العربي الذي يصعب ترويضه ولا تجدي معه بالمعنى التاريخي والاستراتيجي كل معدلات السيطرة على الأدوات السياسية الحاكمة . **والقوة الثانية:** هي تلك المفاعيل الثقافية والفكرية المستقرة في الوجدان العربي وهي بمثابة الحصون التي يصعب اجتياحها برغم ضعف أسلحة الدفاع عنها ، إن الإنسان العادي ومخزونه الثقافي باجتماعهما عند خط واحد سيكونان بالتاكيد في مواجهة العولمة ، وتكفي بعض التطبيقات التي تستهين بمصائر الشعوب ومصادر الإنسان أن توقظ حساً متوقداً يستند إلى ذاكرة حية تعرف كيف تربط المستعمر القديم بالمستعمر الحديث ، وتعرف كيف تنسب كل توجه إلى مظانه ومصادره ، عندها سوف تتشكل أولى بادرات المواجهة المستحقة للعولمة ونظامها الشامل .

2 ـ **المسألة الثانية :** تتمثل بطبيعة العامل الثقافي العربي من حيث مكوناته واستقراره ، ومدى تأثيره في البنية التكوينية للفرد والمجموع في الوطن العربي ، أن الثقافة العربية تتميز بكونها ذات طابع تأثيري عميق ، وهي إذا كانت تحمل في بنيتها إمكانية الحوار كونها مفتوحة له وعليه ، فإنها تمتنع عن الابتلاع والتذويب تماماً ، وتصبح عملية تذويبها أو استبدالها مسألة صعبة للغاية ولربما تشكل الفوضى التقدير والتعامل الغربي مع هذا العامل الثقافي مدخلاً كثير محسوب يؤدي إلى استنهاض بنى كثيرة تؤدي لتكوين مواقف لها أولوياتها

في النظرة إلى الآخر والتعامل معه ، حتى ولو كان الآخر متطوراً إلى هذه الدرجة بالمعنى العلمي والتقني ، وقوياً إلى هذه الدرجة بالمعنى الاقتصادي والعسكري ، أن الميزات الأهم للثقافة العربية في منحى ما يتصل من هذه الميزات بالتفاعل مع العولمة تتحدد بالبنود الأهم التالية :

● الثقافة العربية هي الهوية الحضارية العربية ذاتها ، وفي الوطن العربي كما يقول أحد الكتاب: « **يعيش المواطن آدم ونوح وابراهيم وموسى ويعقوب قدر عيشه للضنك والفقر والقهر والإحباط ، وكأنهم حاضرون معه يحادثهم ويحاورهم ، يتأثر بحياتهم ويتخذهم قدوة**» . لعل في طيات هذا الأمر تتلخص بالمقابل مسألة أن الثقافة العربية استلمت من التاريخ بمراحله المتتالية ، كل الأنماط الثقافية ، المصرية القديمة ، اليونانية ، الفارسية ، الصينية ، الرومانية ،هذا الاستلام التاريخي للثقافات عبر الأزمنة والأحداث والأقاليم تبلور بصيغ تتسم بالعمق والاستقرار لا سيما في مرحلة التبلور العربي الإسلامي ، أن المساحة الثقافية الممتدة عمقاً وأفقاً تتوازى تماماً مع مقدار التجذر الثقافي في الحياة اليومية وهذا ما يفسر امتناع الوجود القومي للعرب على التلاشي والاندثار ، برغم التركيز الاستعماري الهائل والمتواصل والمزمن والشامل على الوجود العربي ذاته، صحيح أن الكيانات السياسية قد تاهت وتمزقت ، واضطربت ملامح واتجاهات الفعل العربي المؤثر حضارياً، وصحيح أن عصراً من الانحطاط أصاب العرب ، فكانت التجزئة والتخلف والتبعية هي الأمراض السائدة ، لكن العامل الثقافي بقي هو العامل الحاضر أبداً وهو الذي ساعد في حفظ الهوية القومية من ناحية ، وهو الذي شكل عامل التحريض والاستنهاض عند المنعطفات الصعبة من ناحية أخرى، إن نظام العولمة عبر هذه الزاوية بالذات سوف يجد نفسه مباشرة في حلقة من المواجهة المكشوفة والحارة . ولسوف تتحقق هنا إشكالية ثنائية ، لجهة أن الجانب السياسي والاقتصادي والتقني سيكون سهلاً أمام تفاعلات العولمة ، في حين سوف يشكل الجانب الثقافي إشكالية صعبة للغاية ، وهكذا سوف تستمر ازدواجية التناقض في التعايش المظهري كما هي الآن ، بحيث يبدو الوطن العربي وكأنه وقع فعلاً في شرك العولمة ، وفي ذات

اللحظة سوف تتفجر مسائل تدل على أن العرب والعولمة في حالة صراع لا في حالة تفاعل .

من المعروف أن تيار العولمة إذا ترك وشأنه فإنه يسعى لمحو الثقافات أو يسعى لتسطيحها على الأقل ليحولها إلى عنصر متشاكل، وسيكون التناقض على أشده بين المحلية والعولمة ، كما يؤكد ذلك المفكر والفيلسوف الأميركي روزناو ، فالعولمة سوف تعني توسيع الحدود ، والمحلية سوف تعني تعميق الحدود . إن التناقض المحتمل هنا سيتخذ شكل الصراع ما بين العامل الثقافي العربي كونه نزعة إنسانية متبلورة ونزعة العولمة ذاتها باعتبارها نظاماً شاملاً ، هدفه الأساس السيطرة ، والسيطرة المطلقة ، ولعل الكثيرين من مفكري الغرب أنفسهم يقولون : **«إن العرب لا مخرج أمامهم إلا إذا اجتمعت مواردهم البشرية مع مواردهم المادية»** . إن منهجية المتابعة لمسارات العلاقة بين العولمة والثقافة يمكن توضيحها من خلال توجهات المركز للسيطرة الشاملة على حساب الأطراف، والمركز الغربي هو المسيطر ، وبوعي أو بدون وعي ، بقصد أو بغير قصد ، صار مسار التاريخ العربي هو المسار التاريخي المفروض لجميع الثقافات ، وباعتبار أن هذه النقطة سوف تأخذ المسألة أبعاداً مختلفة ، ففي حين يسعى المركز للسيطرة الشاملة ، تسعى الثقافة العربية ولو بحدود الدفاع عن النفس إلى رفض التذويب ومحو الهوية ، وفي صلب الحوار المحتدم هذا ، سوف يلتبس السياسي والاقتصادي بإشكالات المسألة الثقافية الأمر الذي يعكس آثاره بصورة كاملة على مدى نجاح نظام العولمة في الواقع العربي ، أن ثمة محاولات يفترضها نظام العولمة في هذا السياق لطي الوعي التاريخي لحساب تضخيم الوعي السياسي ، وهذا ما يمكن التدليل عليه من خلال ما يسمى بمؤامرة الصمت على الجذور لحساب الثمار في نظام العولمة، أن المتمتعين بأكل الثمار بلذة غير مستورة ينسون الجذور التي بدأ غرسها قبل فصل الحصاد . أن الاحتكام للحالة التاريخية لا يحيلنا هنا إلى مدى ما يمكن أن نتوقعه من اشكالات عصية على المعالجة أمام العولمة فحسب ، بل سيعيد طرح المنظومة التفاعلية بين الشرق والغرب ، بين العرب والغرب تحديداً إلى سياقها الجدلي المعروف . فكما انتقلت

الروح من الشرق إلى الغرب يمكن أن تنتقل الروح الآن من الغرب إلى الشرق .

أن الدور الذي اضطلعت بين الثقافة العربية هو دور حضاري شامل وهو يختزل تماماً ذات المستويات التي يطرحها نظام العولمة الراهن . لكن الفارق الوحيد بين الاتجاهين ، يتمثل في أن الثقافة العربية أنجزت مفهوم العالمية وتبنته ، ورأت في مشروعها المتكرر والمتطور قيمة إنسانية ، كونها توجهاً أيديولوجيا فكرياً كانت الأديان السماوية جوهره الأساس ، من خلال وحدة الإنسان ، ووحدة كرامته ومصالحه ، ومن خلال تكريس قواعد المساواة البشرية ، وتضمين الحضارة بنوداً أخلاقية حيوية ، ذلك كله جعل من الثقافة العربية مادة إنسانية لا عنصرية فيها ، وافترض في هذه المادة أن تكون قابلة للتطويع البشري والانتشار والازدهار في أي موقع له قابلية التفاعل معها . إن الهدف التكويني الإنساني الواضح للثقافة العربية هو الذي يفترض أسلوب الحوار كجزء عضوي من الثقافة ذاتها ، وإذا ما كان اتجاه الحوار جاء مغلوطاً حتى هذه اللحظة بحيث كان مفتوحاً على الخارج ومغلقاً على الداخل فإن هذه واحدة من المسائل الإشكالية التي لا بد من معالجتها ، إن العولمة بهذا المستوى من التعامل مع الوضع العربي سوف تصطدم بمفاجآت كثيرة وكبيرة ، وهذا ما تفسره كثافة المناقشة نظراً وتقويماً ، رفضاً وقبولاً ، استدراجاً ونبذاً لمسألة العولمة في الوطن العربي ، إن أخطر الاحتمالات في هذا الباب سوف تأتي من خلال القبول السياسي الاقتصادي والرفض الفكري الثقافي للعولمة في الوطن العربي ، وإذا ما تنبهنا إلى أن الأداة السياسية الحاكمة هي التي تأخذ المنحى الأول ، فإن المنحى الآخر متمثلاً بالرفض يتمثل في الموقف الجماهيري عبر نخبه ومنظماته السياسية والثقافية ، ولعل الحراك في هذه المنطقة بالذات من تفاعلات العولمة مع الواقع العربي ستكون خطرة مزروعة بالألغام ولا ندري حتى الآن كيف سوف يتم فرز المواقع ، ولعله من الاحتمالات المجهولة سوف تتخلق البدايات المنظمة الأولى لليقينيات المعلومة .

وهكذا فإن العامل الثقافي سوف يستدعي اشتقاقاته وتوابعه ، وسوف تسهم حالة العلاقة مع مؤشرات العولمة إلى استدعاء مفاهيم حضارية أساسية ،

أي أن الثقافة العربية سوف تفصح عن منطقها بالتدريج حيث تبدأ بالفكر والأدب والعلوم لتنتهي بالفلسفة والقيم ومكونات الوجود الحضاري نفسه، ومفهوم في هذا السياق كما يقول الدكتور عبد الله عبد الدايم: « أن الحضارة العربية حولت العقل الإنساني من الدوران حول ذاته إلى الدوران حول الأشياء». وهذا يعني حكماً أن اختراق الثقافة العربية عن طريق الوسائل الحديثة الإعلامية والمعلوماتية، وعن طريق السوق الحرة والعولمة لن تنجح، لأن الثقافة العربية تشكل حاجزاً، وهي أصيلة حققت بذاتها شرطي الأصالة واستقرت تراثاً عضوياً في تراكيب الأبعاد التكوينية الحضارية للفرد والمجموع معاً.

وبرغم ما يمكن الحديث عنه بمرارة في الوطن العربي حيث يسود منطق السلطة المطلق وما نعرفه تماماً من توصفات من ذات المنطق تسهم في الجمود والإغلاق والتحكم، وتضيق الخناق على فرص التفتح والتفاعل والإبداع. برغم ذلك كله فإن الثقافة القومية سوف تبقى ذلك العامل المؤسس لمحاكمة أي تيار وافد حتى ولو كان العولمة بكل ثقلها وهيمنتها وبكل الترحيب الرسمي بها، والعامل المؤثر في حسم كثير من الخيارات. وإذا كان حامل السياسة يبدو منتصراً في خياراته في الواقع العربي، فإن الفكر لا يسقط بسقوط السياسي ولا بسقوط حامل الفكر التابع له. ولعله كما يقول رفعت السعيد: « إن الإخلاص للمبادىء والأفكار يتطلب معاملتها بنظرة نقدية دائمة تختبر مدى قربها أو بعدها عن الواقع».

العالم العربي والعولمة:
إشكالية الحوار الثقافي بين الحضارات
(ملاحظات أولية)

د. سمير إسماعيل ★

يشهد العالم صراعاً عنيفاً على معايير فهم وتقييم وتعيين قضايا وسلوكيات السياسة العالمية بما فيها العولمة والأقلمة والدولنة الخ.

وقد زاد من حدة الصراع أو التنافس على ذلك، ما يشهده النظام العالمي من تحولات عميقة التأثير في بنائه المادي والمعنوي تمس مختلف اتجاهاته السياسية والثقافية والاقتصادية إلخ.

وموضوعنا هنا، هو العالم العربي والعولمة، يمثل واحدة من قضايا التفكير السياسي العربي الراهنة، بل واحدة من إشكالياته التي تتراكم من دون أن تتمخض عن تحولات معرفية وسلوكية هامة، أو مدركات متفق عليها علمياً تؤسس نظرياً لإطار تفكير وتفاعل مع العالم.

وهكذا فعلى كثرة الكلام عن العولمة واشتقاقاتها، إلا أن ذلك لم يساعد على التقدم خطوة واحدة باتجاه صياغة جدول أعمال بهذا الصدد.

كيف يتفاعل العالم العربي مع ظاهرة العولمة؟ وكيف يفسخ صلاته معها؟ وما هي اتجاهاته نحوها؟ وهل يؤسس رؤى ومنظورات فعالة تجاهها أم أنه مستمر في آلية تواجه الجديد والآتي بذهنية تآمرية وقلقة وخوافة؟

وكيف ينظر إلى حوار الحضارات وصدامها؟ وهل ثمة إمكانية لتعيين طبيعة

★ عميد كلية العلوم السياسية / جامعة دمشق (سورية).

التفاعلات الثقافية عالمياً أو مع الغرب خصوصاً ؟ هذه الأسئلة مكررة ومعادة دوماً ، إلا أن الكلام حولها لا ينتهي ، بل إنه يكتسب دفعة (أو دفقة جديدة) مع سخونة وسيولة الأحداث التي تشهدها المنطقة العربية والإسلامية منذ أحداث 11 أيلول .

ولا يخفى أن المقصود بتحديات العولمة وحوار الحضارات أو صدامها هو بشكل أو آخر العلاقة مع الغرب وخاصة الولايات المتحدة . وهكذا فإن كل مقولة سياسية أو ثقافية من هذا النوع تحيل إلى العلاقة بين العرب والغرب أو بين الإسلام والغرب ، حواراً وصداماً ، تحالفاً أو عداء . تتسم فكرة العولمة في السياق العربي بطابع شبه أسطوري ، فهي أشبه بـ (وحش) هوبز ، ولكنها في واقع الحال من الغنى والتنوع والتفاوت ما يجعلها صعبة التعيين .

وكذا هو حال الثقافة العربية معها . فإنك لا تستطيع أن تجمل مواقفها وآراءها تجاهها إلا بصعوبة يزيدها مخاطر التنميط والتصنيف . غير أننا نستطيع ـ ولكن بإجمال مخل ـ أن نتحدث عن قراءات للعولمة : قراءة ايديولوجية نضالية طوباوية تركز على مخاوف وتجعلها بمثابة مرادفات للمعنى . فالعولمة هنا : تفكك وتلاشي الهوية ، والتبعية ، والاستعمار ، والصدمة ، والإحباط ، والغزو الثقافي ، والهيمنة الأميركية الخ .

وقراءة أخرى تبجيلية تركز على الفتوح والكشوف . فالعولمة هنا : الاتصال والتبادل المادي والرفدي من غير قيود : القرية الكونية ، الفردوس ، التنوير ، السلام ، الديمقراطية الخ .

وقراءة ثالثة بين ـ بين . وهذه قراءة مترددة لا تكاد تقول شيئاً ، فهي مع العولمة وضدها . وعلى جري العادة تقول (نأخذ من العولمة ما يناسب ونترك ما يخالف مصالحنا) ولكنها تبقي أمر تحديد المناسب والمخالف مزاجياً اعتباطياً الخ .

إلا أن أغلب تيارات السياسة والثقافة في العالم العربي والإسلامي تعارض

العولمة وأطيافها وأخواتها . خوفاً على الدين والدولة والقومية والوطنية والتراث والأصالة والحداثة .. كل حسب مقولته المركزية النضالية . وأما منطق العولمة وجوهرها فيبقى خارجاً ، لأن حجب الايديولوجيا تمنع وصول الرسالة أو الرسائل العميقة والبليغة التي تحتويها العولمة .كل ذلك يجعل من الضروري إعادة النظر بهذه المسألة في سياقها العربي والإسلامي .

ولا بد هنا من توضيح مايلي :

1ـ من غير المجدي التعامل مع العولمة بعقلية ايديولوجية مغلقة . ومن غير المعقول التعامل مع ظاهرة العولمة بعقليات انقضى أمدها وانتهت صلاحيتها.

2ـ لا تعني العولمة تسطيح العالم وتوحيده أو جعله نسخاً متعددة لأصل واحد.

3ـ كما أن نقد الأوهام والمواقف حول العولمة لا يعني تأييدها والتصفيق لها، ذلك أن لها سلبياتها وأخطارها في النهاية ، شأنها بذلك شأن أي حدث أو ظاهرة وهي على ما يقول علي حرب (مكان مفتوح أي هي حدث يتوقف أثره على كيفية التعامل معه قراءة وتشخيصاً أو تعقلاً وتدبيراً ، أو صرفاً وتحويلاً).

غير أن صلاتنا معها ما تزال غير مفهومة ، متوترة ، أكثرها تحذير وتهويل من مخطط مسبق موجه إلى العالم غير الغربي ، وغير الأميركي ربما والعالم العربي والإسلامي خصوصاً ، بهدف تفكيكه والسيطرة عليه وإدماجه بصورة قسرية سلبية في النظام العالمي ، مع حرص أكيد على أن لا تتوافر لديه أية ممانعة أو فرصة مراجعة لا في الوقت الراهن ولا في المستقبل .

كل هذا ؟

نعم ، وأكثر إذ يخطر ببال حراس الثقافة القومية والهوية الخ أن كل شيء تحت مسمى العولمة هو شر محض وباطل . وإذا كان كلامنا تشخيصاً مقارباً لواقع الحال . فهل من فسحة للحوار الثقافي والحضاري ؟ يتشكل الكلام عن العولمة في السياق العربي في صيغ عدة أبرزها : نهاية التاريخ ، صدام الحضارات الأميركية .. وقد برز مؤخراً الكلام البديل عن كل ذلك وهو (حوار الحضارات)

وعلى الرغم من تعدد الصيغ إلا أن الأبواب بينها مفتوحة وتشترك في الموضوع والاتجاه والمسميات والهيكليات ، فضلاً عن الروح الكاتبة وربما القارئة .

ويمكن للباحث أن يستخلص أحكاماً متناقضة من كل ذلك . فالسياسة العالمية تشهد صداماً وحواراً ، وقطيعة وتواصلاً تقارباً وتنافراً .. منطق يحكم بثنائيات مطلقة الصلاحية . ولكن ما مغزى الكلام راهناً عن (الحوار الثقافي) أو (حوار الحضارات)؟

نسوق هنا المقولات التفسيرية التالية :

1ـ لعل وراء ذلك (خبثاً) مالدى المثقف العربي . إذ إن مقولة الحوار أكثر مواءمة حتى لو لم تكن واقعية . ولذا فقد أصر المثقفون في العالم العربي والإسلامي على قلب مقولة الصراع إلى حوار (ففي الصراع نعرف أن موازين القوى تقود باتجاه واحد وهو أن نسحق وندمر . أما الحوار فهو يسمح لنا بأن نكون طرفاً وبذلك نستريح من عناء الجهد والعمل وتعبئة الإدارة لنصنع الأمة ونوحد القدرات ونضاعف الإنتاج).

2ـ يعبر الكلام عن الصراع ـ الحوار عن اتجاه عالمي نحو (أدينة) الثقافة والسياسة بالاشتغال على نقد الحداثة والتركيز على نقائصها وأخطائها ومديح ما بعد الحداثة والتنكيل ما أمكن بالعلمانية والعقلانية والتنوير إن من مصلحة الأطراف ـ فيما يبدو ، القائلة بالصراع أو القائلة بالحوار أن تتساند على معطى ديني يعطي الشرعية والشرعية المضادة لفعلها السياسي والثقافي .

وهكذا فإن الجانب العربي الإسلامي يستجيب بلهفة للمعطى الديني الأخلاقي متجاهلاً بقصد أو بغير قصد المعطيات السياسية . وهكذا نبقى نحن نسعى وراء المستحيل في حين يمارس غيرنا فن الممكن .

3ـ تنشغل الأطراف كلها (أطراف الصراع أو الحوار) بالآخر أكثر مما تنشغل بـ(الأنا) وذلك من حيث المحاجبة والتبرير . فيبدأ الموضوع بـ (الآخر)

وينتهي (به) وهكذا العالم العربي الإسلامي ، فقد انشغل بالموضوع عن (أناه) فلم يدرس وقائعه وإمكاناته وتجاربه وسياقاته ، ولم يفهم ما ينبغي عليه فعله .

وهكذا فإن الأطراف تستخدم المسميات والمفاهيم نفسها ولكن متفارقة المعنى ، والرسائل نفسها ولكن متعاكسة المضمون . فهل يأتي (الحوار) من كل ذلك ؟!

لعل ما يفسر عقم محاولات التلاقي والتحاور حتى الآن أن الحوارات السياسية والثقافية والاقتصادية (وكل ما ينضوي تحت مسمى الحوار) لا تزيد عن كونها (علاقات عامة) أو ذات نتائج عرضية إلا من الجانب الايديولوجي ، بمعنى أننا نقوم بواجبنا ، ثمة شيء آخر هو أكثر من كونه (علاقات عامة) ثمة حالات تقارب قد تأتي من خارج السياق المعروف ، غير أن تلقيها هو المشكلة .

فعندما يكتب مستشرق (كلاماً جميلاً لصالح العرب والمسلمين فإن هؤلاء يتلقون كلامه بزهو على أنه الحق بعينه وأما إذا أعلن أحدهم إسلامه فسيعني ذلك نصراً مؤزراً للعقائد والإيمانيات الدينية والقومية ربما .

غير أن الحال يختلف فيما لو كتب المستشرق كلاماً انتقادياً ، فسيكون عندئذ ، كلامه همجياً وجاسوساً يعمل بدافع انتماء سياسي يكن الحقد والبغضاء تجاه العرب والمسلمين . ونذكر هنا بالكتابات التبجيلية التي قدمها الغرب حول الإسلام السياسي في فترة الحرب الباردة ، فقد حملها العرب والمسلمون محمل الجد وعدّوها وثيقة إثبات صحية ومعقولية . الخ فأي الموقفين هو الصحيح ؟

أحيل هنا إلى الدراسات التالية : الإسلام ، أوربا ، الغرب لمحمد أركون ، أوهام الهوية لفرانسوا بايار وثقافات الخمينية لحازم صاغية . إلاّ أن يبقى السؤال ضاغطاً : هل ثمة حواراً ثقافياً بين الحضارات ؟

حتى الآن يبدو أن ثمة مؤشرات تدل على حوار ثقافي بين العالم العربي الإسلامي والعالم الغربي .

وإذا كان هناك تركيز على البعد السياسي فلأن الكتابات الغربية انتقلت من

المدرسة الاستشراقية التقليدية والدراسات الإسلامية إلى كليات العلوم السياسية والعلاقات الدولية والدراسات الشرق أوسطية وتؤكد ذلك كتابات جيل كيبل وأوليفيه روا وصموئيل هينتيغتون وفرانسيس فوكوياما وفريد هاليداي وغراهام فولر وجون اسبوزيتو وبنيامين باربر الخ . غير أن هذا لا ينسحب على الجانب العربي الإسلامي ؛ إذ ما يزال الدارسون العرب للدين والتاريخ والأدب هم سادة الكتابة في موضوع العلاقة مع الغرب .

وهؤلاء يكتبون بذهنية تآمرية وروح غرائبية وحساسية أمنية مبالغ فيها ، ويعممون عقدهم وعصابهم على الثقافة الغربية (والعربية أيضاً) فلا يميزون بين تياراتها وإبداعاتها واتجاهاتها ولا يعنيهم إلا (حراسة) الثقافة الدينية والقومية من أعداء وهميين ومتربصين حاقدين .

لماذا تلتبس مسألة الحوار الثقافي على الرغم من أهميتها وإلحاحها ؟

نركز هنا على عدة أسباب نعتبرها الأكثر أهمية .

1ـ الأصولية :

يعد صموئيل هينتيغتون أن الدين هو أحد عوامل التشكل والصراع السياسي على مستوى العالم وأن دوره سيتضح بصورة متزايدة مع السنوات والعقود القادمة . وثمة مؤشرات ذات دلالة واضحة على صحة مقولته هذه . وليس أدل على ذلك من حمى الخطابات الدينية في الشرق والغرب .. خطابات ذات تأثير جياش على الساسة والمثقفين والعامة ويبدو رجال الدين أكثر من (سوبر ستار) لفرط ظهورهم على شاشات التلفزة ومختلف وسائل الإعلام الأخرى .

هؤلاء ينظرون إلى العالم نظرة ثنائية قطعية فاصلة : الخير والشر ، الإيمان والكفر .. إلخ . وإذا كانت السياسة العالمية ، الآن أكثر إشباعاً بقيم ذات طابع ديني فإن التفاعلات بين المتناقضين خصوصاً تبدو صعبة جداً والحوار يبدو مستحيلاً .

فالأصولي يعدّ أن دينه أو منظوره هو وحده الصحيح والآخرون على ضلال

ولا يخطر بباله أن في العالم أصوليين من غير مذهبه يفكرون مثله .

2 ـ الإنتقائية :

ذكرنا سابقاً أن ثمة تحيز لصالح نمط من الكتابة الاستشراقية . فالعرب والمسلمون يرحبون بالكتابة التي تمجدهم أو تجاملهم لسبب أو لآخر . ولكنهم يتجاهلون الكتابات الأخرى حتى لو كانت علمية وموضوعية .

وينسحب الحال على كيفية تناول الغرب في ثقافتنا . فإذا كانت كتابة مضادة له فإننا نركز على المؤشرات التي نفهمها ونقيمها سلبياً . ولا يحضر من الغرب سوى سلبياته وعدائيته .

وهذا يذكرنا بأننا نقدم صوراً متخيلة ومصنوعة عن الآخر ، بشكل يجعله عدواً حتى أكثر مما يشاء هو نفسه، أو ربما بالضد مما يشاء !

غير أن ذلك ينطبق على الغرب أيضاً ففيه نعثر على من يقدم لنفسه صوراً متخيلة ومصنوعة أو إنشائية عن الشرق أو عن العالم العربي والإسلامي وقد أبرز ذلك بجلاء إدوارد سعيد في كتابيه : الاستشراق و تغطية الإسلام .

3 ـ القيم المتضادة :

إذا كانت القيم متضادة بصورة جدية فسيصعب الكلام عن حوار ثقافي إذ إن المجال متاح عندئذ للصدام فقط . كيف ؟

يعتبر بنيامين باربر إن من أسباب القطع أو صعوبة الحوار أو الصدام بين الغرب والعالم الإسلامي هو تضاد القيم . إذ تحكم فلسفة التنوير رؤى الأول أما رؤى الظلام فتحكم الثاني .

وفلسفة التنوير التي تحكم الغرب تتعارض مع النظام الأصولي سواءً أكان إسلامياً أم مسيحياً أم غير ذلك ، بل إنها قامت على أنقاضه .

فلسفة التنوير تقبل بالتعددية الدينية والمذهبية داخل المجتمع وبالتسامح والحوار والديمقراطية . وأما النظام الأصولي أو المذهبية الأصولية فلا تقبل بشيء من ذلك وإنما تعدّه كفراً وضلالاً أو خيانة وتآمراً وعلى هذا : فأين السبيل إلى

الحوار ؟

4 ـ الهويات الثقافية :

والكلام عن الحضارات وفق المعيار الديني يقود إلى الكلام عن صراع بينها على أساس التمايز الديني، غير أن هذا ينطوي على خلط وعدم تمييز بين الحضارة والثقافة. فالأولى تتعلق بأسباب العيش وأنماط الإنتاج والاتصال إلخ. في حين أن الثانية تتعلق بنظام المعنى ومنظومة القيم ومصادر المشروعية. وما يوحد القيم حضارة عالمية واحدة، ضمنها ثقافات فرعية ومنها الثقافة العربية والإسلامية.

وعليه يمكن الحديث عن صراع ثقافي بين العالم العربي والإسلامي وبين العالم الغربي وعلى رأسه الولايات المتحدة ولكن صراع الثقافات أو الهويات الثقافية لا يقتصر على هذين العالمين. ففي كل منهما صراعات ثقافية عديدة وعميقة ومديدة ومفتوحة الآفاق (الاحتمالات).

يبقى علينا أن نؤكد المسألة التالية : وهي أن صراع الهويات الثقافية محلياً أو فرعياً يدفع أطرافه في العالم الغربي إلى مزيد من الابتكار والفاعلية ويمارس في بيئات منفتحة وإيجابية أكثر بكثير منه في العالم العربي والإسلامي الذي تتصارع هوياته الثقافية بصورة سلبية وغير منتجة. فأكثر الأطراف يتنازع على امتلاك المشروعية المطلقة والصوابية المطلقة، فيما يخص الأرض والسماء، والجنة والنار، والخير والشر، الماضي والحاضر والمستقبل. فأين السبيل إلى الحوار ؟

تحدثنا عن مشكلات عديدة ولم نفسح المجال أمام ما يطمئن لأننا لم نجده ؟ إلا أن فسحة الأمل موجودة رغم كل شيء ونعتقد أن بإمكان العالم اليوم أن يتجه نحو سياسة أكثر وعنف وتعصب أقل. فإذا كانت «أدينة» العالم وسياساته قد وصلت إلى أشدها، فإننا نأمل هبوطها وتراجعها بعدما تبين للجميع أن منطق (الفرقة الناجية) دينياً وسياسياً هو منطق هدام لا يورث إلا الدمار والإرهاب

ويبعد عن الله (والناس) أكثر مما يقرب منه أو إليه.

وربما كانت إحدى نتائج 11 أيلول تكمن هنا. فهي قد تجبر المثقفين والساسة في العالم العربي والإسلامي كله على إعادة قراءة التراث بطريقة تاريخية مسؤولة، كما قد تجبرهم إلى إعادة النظر في برامج التعليم التي تلقن للأطفال منذ الصغر بعض اليقينيات العدوانية التي تنتمي إلى القرون الوسطى. والتي تكفر الآخرين لقتلهم (المؤجل أو المعجل) أو لإقصائهم عن الحياة العامة. فضلاً عن طردهم الأبدي من الجنة، جنة السماء وجنة الأرض !!

لدى العرب تراث عظيم أيضاً من العقلانية والإنسانية المشرقة يمكن العمل عليها وتخليصها من التعصب الأعمى الذي غطاها ومحقها.

حدث 11 أيلول / سبتمبر : رب ضارة نافعة :

قد يؤدي الحدث إلى تسريع حركة التاريخ في العالم العربي والإسلامي.

قد يؤدي الحدث إلى حصول المصالحة التاريخية المنشودة بين الإسلام والحداثة.

قد يؤدي إلى تخلص العروبة من الايديولوجيا المتعصبة وعفونتها عندئذ فقط يمكن أن نتحاور مع العالم ونتصالح معه، أن نقيم حواراً ثقافياً، أن نعيش العولمة كمشاركين فعالين لا كـ خائفين ومتربصين ؟

المراجع:

1ـ علي حرب : حديث النهايات، فتوحات العولمة ومأزق الهوية ـ بيروت ـ 2000

2ـ طيب تيزيني : (صراع الحضارات في الغرب الأميركي والإسلام).

في : محمد علي الأرشب (محرر). كيف نواصل مشروع

3 ـ حوار الحضارات / ج2/ دمشق : المستشارية الثقافية الإيرانية. 2002

4 ـ الفضل شلق (حوار الحضارات في عالم الصراع) مجلة الاجتهاد ـ العدد 52 ـ 53 خريف وشتاء 2001 / 2002

5ـ جان فرنسوا بايار : أوهام الهوية ـ القاهرة ـ 1998

6ـ هاشم صالح : التراث الإسلامي وسياسية القوة الغربية ـ الشرق الأوسط 28 / 2 / 2003

7ـ خلدون النقيب : آراء فقه التخلف ـ بيروت دار الساقي 2002

الثقافة ودور العلم في تشكيل الحضارة

د . فيصل سعد ★

تتلخص أطروحتنا الأساسية حول هذا الموضوع ، الإشكالي السجالي ، بالقول : **(ليست كل ثقافة حضارة في حين أن كل حضارة هي ثقافة . فالحضارات ثقافات فيما الثقافات ليست جميعها حضارات ، وبالتالي ، فإن عدد الحضارات لايستنفد عدد الثقافات. إن عدد الحضارات يساوي عدد العصور أو المراحل التاريخية لتطور المجتمعات البشرية في حين أن عدد الثقافات يساوي عدد المجتمعات في كل عصر أو مرحلة تاريخية على حده. وبالنتيجة ، ليس ثمة تماه بين مفهومي الثقافة والحضارة ، بل هناك تفاضل بينهما ضمن ديالكتيك ارتباطهما . فالحضارة هي ، بتعبير فلسفي هيغلي ، الثالث المرفوع في جدل الثقافة الذي يقوم على العلم كقيمة قومية وكونية في الوقت نفسه) .**

والحال ، ما هي الثقافة وما هو دور العلم في تصيير ثقافة محددة من ثقافات قومية متعددة حضارة في كل عهد أو مرحلة تاريخية ؟؟

تعني كلمة ثقافة (culture)، كمفهوم في سوسيولوجيا الثقافة والانثروبولوجيا الثقافية ، كل ما هو ثمرة الإبداع الإنساني ، وهي إذ تشير إلى نتاج الخلق البشري ، فإنها تقيس المسافة الفاصلة بين الأصل الطبيعي الخام للمجتمع البشري ومستوى تطوره الإنساني في كل عصر تاريخي . والثقافة ، كتعبير عام عن ما يختص به الإنسان ويميّز بينه وبين الكائنات الحية الأخرى ، هي العلامة الرئيسة للوجود الآدمي ، أو قل : إنها أسلوب وجود الكائن البشري ،

★باحث وكاتب وأستاذ في جامعة تشرين (سوريا).

وإذ تشمل الثقافة أنماط السلوك المكتسبة التي يسلكها عضو المجتمع والتي يتوقعها الآخرون منه كما يتوقعها هو من الآخرين ، فإنها تعني طريقة الحياة التي يبتدعها ، لنفسه وبنفسه ، مجتمع محدّد من المجتمعات. إن الثقافة ، بهذا المعنى ، ظاهرة محض إنسانية .

وباعتبار الثقافة نمطاً من السلوك الإنساني محدّد بحدود محلية أو قومية ، فإن لكل مجتمع من المجتمعات ثقافته الخاصة التي تعبر عن خصوصيته بأشكال أو طرق متعددة ، وعلى هذا النحو ، فإن الثقافة ، كظاهرة خاصة بالمجتمع البشري ، تفترض ذاتها كظاهرة عامة على كافة المجتمعات ، إن خصوصية الثقافة هي الوجه الآخر الضروري لعموميتها . والثقافة ، كنمط خاص من السلوك الآدمي ، هي شرط الاجتماع البشري ، مهما قصرت المسافة بين المجتمع المعني والتجمع الحيواني على مستوى المنطق الثقافي . وبالتالي ، فالثقافة نشأت مع نشوء المجتمع نفسه ، وهي ظاهرة دائمة ديمومة المجتمع . وديمومة الثقافة تعني استمراريتها ، فهي تعكس تراثاً تاريخياً متواصلاً من قيم وتقاليد وعادات السلوك اليومي ، وتعبّر عند كل مستوى من مستويات تطورها التاريخي عن تراكم قيمي جديد ينضاف ، في كل مرحلة تاريخية ، إلى مجموع التراكمات القيمية السابقة لتؤلف ، في النهاية ، تاريخاً من السلوك الثقافي للمجتمع القومي المعني

والثقافة على هذا النحو البنيوي ظاهرة شاملة ، بمعنى أنها ثقافة المجتمع كله وليس ثقافة هذا الجانب منه أو ذاك ، إذ ليس ثمة ظاهرة بعينها ضمن المجتمع يُمكن أن تختزل كل الثقافة فيه ، بل ثمة ثقافة تعبّر عن نفسها بكل ظاهرة من ظاهرات المجتمع . وباعتبار أن المجتمع ، بشكل عام ، يقوم على ثلاثة مستويات أساسية ، هي المستوى الاقتصادي والمستوى السياسي والآخر المعرفي ، فإن الثقافة تحضر ، بدورها ، على كافة تلك المستويات. وبالتالي ثمة حقول كبرى ثلاثة للثقافة هي الحقل السياسي والاقتصادي والمعرفي (الفكري) ، وهذه الحقول هي نفسها تلك المستويات مطروحاً منها الجانب الطبيعي الخام.

وتعبّر الثقافة عن نفسها في الحقل المعرفي بكافة مناهج ورموز أو أشكال المعرفة الإنسانية، ولو بدرجات متفاوتة تفاوت مستويات التطور التاريخي للثقافات المتعددة، كالأدب والفن والشعر والدراما والموسيقا والدين والاسطورة والفلسفة والعلم. هذا في حين تعكس الثقافة ضمن الحقل السياسي طبيعة وشكل العلاقات السياسية القائمة بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي داخل المجتمع المعني، وكذلك أشكال التنظيم الحاكمة للعلاقات الاجتماعية الاخرى، تلك التي تقوم بين طبقات وفئات أو جماعات المجتمع الواحد نفسه. وأما الثقافة داخل الحقل الاقتصادي، فتجد نفسها في مرآة ديالكتيك قوى الإنتاج وعلاقات إنتاج المنتوجات وتبادلها وتوزيعها وعادات استهلاكها او استثمارها كما تتداخل وتتفاعل المستويات المكوّنة للمجتمع، إذ كل منها مكوّن بغيره ومكوّن لغيره، فإن حقول الثقافة التي تعبّر عنها تترابط، بدورها، وتتشابك، إذ كل منها يؤثر بغيره ويتأثر به. ويعبّر تفاعل حقول الثقافة عن نفسه في الحقل الاقتصادي بوحدة قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج وبوحدة المجتمعين المدني والسياسي داخل الحقل السياسي وداخل الحقل المعرفي بوحدة النظرية والممارسة وهذه الوحدات الجدلية الثلاث الكبرى هي، في الوقت نفسه، صور لبعضها البعض الآخر والوان طيف واحد هو طيف الفعل الثقافي نفسه. ولطالما هناك حدود دنيا مشتركة بين البشر والكائنات الحية الاخرى، على مستوى الحاجات العضوية ـ البيولوجية، كالمأكل والمشرب والمسكن والملبس والجنس و... إلخ، فإن الفارق النوعي الفذ بين المجتمعات البشرية وتجمعات الكائنات الاخرى لا يقع، بالدرجة الأولى وبالضرورة، في الحقل الاقتصادي للفعل الثقافي، بل في حقله المعرفي، بهذه الدرجة وبالضرورة. فالإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يفكر، وإذن يعرف. ومن هنا، فإن الحقل المعرفي هو أهم حقول الثقافة بوصف المعرفة سمة الإنسان الاولى، إذ هي التي تتكفل عمليات أنسنة سلوكه داخل الحقل الاقتصادي، فتضفي عليه الشكل البشري، وتدفع أفراد الناس إلى الاجتماع

الإنساني ضمن أشكال (أدمية) للتنظيم الاجتماعي ـ السياسي.

هذا من جهة، أما من جهة أخرى، فإن كل نتاج إنساني، اقتصادياً كان أم سياسياً، يبدأ كفكرة أولاً. ولا بد لكل فكرة كي تغدو ذات شأن اجتماعي من أن تتجسد بهذا الشكل الاقتصادي أو ذاك الشكل السياسي. وعلى هذا النحو، فإن الحقل المعرفي للثقافة هو الحقل الناظم للحقلين الآخرين. إذ ليس ممكناً أن يتطور الحقل الاقتصادي أو السياسي قبل أو بدون تطور الحقل المعرفي بداية. فالمعرفة هي عقل الاقتصاد والسياسة.

والحال، كيف يتطور الحقل المعرفي للفعل الثقافي، ومن أين يبدأ التطور فيه كي ينعكس في تطور الحقلين الآخرين ويعبّر عن نفسه داخل كل منهما؟ تثبت وقائع التاريخ ودروسه البليغة أن تطور العلم هو منطلق التطور المعرفي، والاجتماعي بشكل عام. فالعلم منظومة مفاهيم وشبكة قوانين تعبّر عن العلاقات السببية التي تربط بين الظاهرات المعنية. ويعبر العلم عن منهج فذ في حصول المعرفة (العلمية) والتي تنشأ وتتطور على قواعد الاستقراء والاستنباط أو التحليل والتركيب، وكذلك مبادىء النقد والنسبية والتراكم و...إلخ. وعلى خلفية هذه القواعد والمبادىء يقوم العلم ويتطور وفق خط بياني صاعد. فيما تتحول أو تصير أشكال المعرفة الاخرى، كالفن والشعر والفلسفة و...، في اتجاهات صاعدة حيناً وهابطة أو نازلة أحياناً أخرى.

إن تطور العلم على هذا النحو المنهجي الواضح هو أهم شروط تطور كافة مكوّنات الحقل المعرفي الاخرى في اتجاه تطوره هو بالذات. وفي ظروف التخلف العلمي تفقد عناصر الحقل المعرفي الاخرى الطابع أو النهج العلمي لتتلبس طوابع أخرى غير علمية تغدو معها، في النهاية، في حالة تكور وليس وضع تطور.

وإذ يعبّر العلم عن نفسه ضمن الحقل المعرفي للفعل الثقافي بعلوم المنطق والنفس والفلسفة والفن وما شابه هذه العلوم والمعارف، فإنه يرى نفسه داخل الحقل السياسي بعلوم الاجتماع والسياسة والقانون أو الحقوق و...إلخ، فيما

يجد ذاته في الحقل الاقتصادي بعلوم الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والرياضيات وغير هذه من العلوم الطبيعية الأخرى .

ويتجلى العلم في الحقل الأول بنفسه كمنهج نقدي فذ ، وبإضفاء ذاته على كافة أشكال المعرفة الأخرى في هذا الحقل من حقول الثقافة . فيما يتجلى في الحقل الثاني بديمقراطية العلاقة بين ماهو مدني وما هو سياسي داخل المجتمع المعني ، وبعلمانية العلاقات الاجتماعية بين الطبقات والفئات والأفراد في المجتمع الواحد نفسه . في حين يتجسد العلم ضمن الحقل الثالث بمستوى تطور قوى الإنتاج وأدواته أو وسائله المادية .

على هذا النحو يبدو العلم أهم مكوّنات الحقل المعرفي للفعل الثقافي . ونتيجة أن فعالية أو فاعلية أنماط المعرفة الأخرى ترتبط ، إلى حد بعيد ، بدرجة تطور نمط العلم ، فإن خصوصية الثقافة المعنية مشروطة بمستوى التطور العلمي للمجتمع المعني . وتتوزع الثقافات ، وبالتالي المجتمعات ، على سلم التطور التاريخي بصورة توزعها على سلم التطور العلمي .

ونتيجة أن العلم هو الشكل الوحيد من المعرفة الذي تأخذ بمنهجه ومفاهيمه كافة الثقافات أو المجتمعات ـ وطبعاً بنسب متفاوتة تفاوت تلك الثقافات والمجتمعات على مستوى التطور العلمي ـ فهو المعيار الموضوعي الوحيد في المقارنة بين الثقافات المختلفة والمجتمعات المتعددة ، ومن ثم فرزها إلى مجتمعات متخلفة وأخرى متقدمة . هذا في حين أن أشكال المعرفة الأخرى مجرد ظواهر محلية لا ترقى إلى مرتبة المعيار الموضوعي في التفاضل بين الأمم والشعوب .

وتأكيداً على أولوية العلم وأهميته في تطور الثقافات والمجتمعات ، بوصفه منظومة قيم معرفية متساوية الأهمية بالنسبة لكافة المجتمعات البشرية ، فإن علوم الثقافة تشير بمفهوم الحضارة Givilisatioh إلى الثقافة القومية صاحبة النصيب الأكبر والأهم من الاكتشافات العلمية والإبداعات التكنولوجية تلك التي تحصل في كل مرحلة تاريخية من مراحل تطور المجتمعات البشرية، ومن

هذا المنظور ، فنحن أمام حضارة واحدة مقابل ثقافات متعددة في كل مرحلة تاريخية نوعية .

إن الحضارة ، كثقافة محدّدة تقوم على التطور العلمي بشكل رئيس ، هي ثقافة عالمية أو كونية . فالعلم قيمة منهجية ومعرفية مقبولة ومتساوية الأهمية لدى كافة الشعوب والثقافات القومية ، وباعتبار أن التقدم العلمي يفضي إلى الإبداع التكنولوجي والتطبيق التقني ، وبالتالي التحضر أو التمدن ، فإن الحضارة هي الثقافة ، الإقليمية أو العالمية ، وقد صارت مدنية العالم أو الإقليم المعني ، وفي ظروفنا الحالية نقول : إن الحضارة الرأسمالية هي مدنية العالم اليوم . وهذا القول لا ينفي واقع تعدد الثقافات القومية المختلفة في ظل ـ وأحياناً في وجه ـ الهيمنة العالمية للحضارة الرأسمالية الغربية .

على هذا النحو يبدو العلم ، في آن معاً ، ظاهرة ثقافية قومية وظاهرة حضارية كونية ، فهو ظاهرة ثقافية قومية لأنه نمط من أنماط الحقل المعرفي لأية ثقافة ، بدرجات متباينة ، وقوميته محدّدة بحدود المقدار الذي تساهم فيه هذه الأمة أو الثقافة القومية وتلك في رفد بحر التطور العلمي للمجتمع البشري عامةً . والعلم ظاهرة حضارية عالمية لأنه قيمة مشتركة بين كافة الثقافات المختلفة ، وبالتالي ، فهو البعد العالمي للثقافة وجسر عبور الثقافة الأكثر تطوراً بالعلم إلى العالمية .

وإذن ، الحضارة هي التجلي الأعلى لديالكتيك العلاقة بين الخصوصية والكونية ، ولأنها تقوم ، بشكل أساسي ، على التطور العلمي والتقاني ، كمسعى عام مشترك بين كافة الأمم والمجتمعات ، فهي حصيلة الثقافات القومية منذ ظهورها الأول وإلى اليوم ومن أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب . وإذ هي مرتبة معينة من مراتب التطور الثقافي للمجتمع البشري ، فإنها التركيب الجدلي الأعلى لكافة الثقافات عبر العصور التاريخية . فما من شعب إلا وساهم ، بهذا القدر أو ذاك ، في عملية التقدم العلمي . وبالنتيجة في صنع الحضارة العالمية . كثقافة قومية محددة تقوم على المدنية بقوة التطور العلمي والإبداع التكنولوجي .

إن التاريخ نفسه يعلّمنا أن الحضارات قد تعاقبت تعاقب العصور أو المراحل التاريخية (العبودية والإقطاعية والرأسمالية). فالحضارة المعنية الواحدة إذ تسود في مرحلة تاريخية محدّدة، فإن قانون أو منطق التطور اللاّمتكافئ لصيرورة التاريخ البشري يحول - وقد حال بالفعل - دون أن تتمكن حضارة واحدة بعينها أن تعبر المرحلة التاريخية التي هي الثقافة السائدة فيها، إلى مرحلة تاريخية أخرى لاحقه لتغدو، في النهاية، هي نفسها الحضارة في المرحلتين المتتاليتين معاً. فالعصور أو مراحل التاريخ الكبرى، العبودية والإقطاعية والرأسمالية، قد قامت، تباعاً، على الحضارات، أي الثقافات الإقليمية أو العالمية، الإغريقية والعربية والأوربية والأميركية (الجديدة).

والحال، إن التناوب على مكانة الحضارة هو سمة دائمة للثقافات القومية المتنافسة على الفوز بميدالية تلك المكانة الإقليمية أو العالمية. والفوز بالسبق العلمي، وبالتالي التفوق التكنولوجي، هو شرط الفوز بالسبق الحضاري. وعلى هذا النحو، فإن المفهوم العلمي للثقافة هو مفهومها الحضاري، بامتياز. وهذه دعوة صادقة بأمانة علمية كبيرة لأصحاب الخلط بين الحضارة والثقافة في أوساطنا السياسية والثقافية - الإعلامية إلى مادبة التفكير أو الكتابة تحت عنوان: صراع الثقافات وليس صراع الحضارات. فالثقافات تتنافس وتتصارع فيما الحضارات تتوالى وتتعاقب...

العلاقة التبادلية بين الإصلاحات الاقتصادية والسياسية في الوطن العربي

د. ناصر عبيد الناصر★

هناك علاقة ارتباط وسببية بين ماهو اقتصادي وما هو سياسي فكلاهما يعطي زخماً للآخر، وقصر الإصلاحات على جانب دون الآخر هو نصف الحقيقة، وحتى تكتمل الحقيقة يفترض رفد الإصلاحات الاقتصادية بإصلاحات سياسية غير مسبوقة:

1- بناء دولة المؤسسات وترسيخ سيادة القانون.

2- الفصل بين السلطات الثلاث «التشريعية والتنفيذية والقضائية»، وتحقيق التوازنات المرغوبة بينها.

3- تشجيع قيام مؤسسات المجتمع المدني في الحياة الاقتصادية والسياسية للأقطار العربية.

4-إصدار قوانين ناظمة لعمل ونشاط الأحزاب الوطنية والقومية، ومانعة لظهور أحزاب العدمية القومية، من شعوبية وطائفية ومذهبية وإثنية.

5-حفز السلطة الرابعة «الصحافة» على أداء دورها في رصد ومراقبة مواطن الخلل.

6- احترام حقوق الإنسان وتوفير الحريات الديمقراطية.

7- تحميل أعباء الإصلاح الاقتصادي والسياسي للأغنياء قبل الفقراء وللأقوياء قبل الضعفاء، وللمسؤولين قبل المواطنين.

8- تعزيز دور الرقابة الوقائية والرقابة اللاحقة على أداء مؤسسات الدولة

★كاتب وباحث وأستاذ في جامعة دمشق(سورية).

في الوطن العربي لاجتثاث الفساد من جذوره.

وهكذا من سياق ماورد يتضح لنا بأن الإصلاحات الاقتصادية تبقى مبتورة وقاصرة إن لم تستكمل بإصلاحات سياسية تركن إلى الثوابت الوطنية والقومية، وإن لم تترافق باجتثاث الفساد، ليبقى محصوراً في حقل الارتكابات الفردية المحدودة التي لاتستعصي على الحل.

● التحديات التي تعترض مسار الإصلاح الاقتصادي:

تصطدم عملية الإصلاح الاقتصادي والسياسي بصعوبات وتحديات كثيرة تعترض مسار الإصلاحات الاقتصادية إما من صنع محلي أو من صنع خارجي أو بفعل عوامل الطبيعة القاسية، وقد يُسهم تشخيص عناصر الضعف والقوة في الاقتصاد العربي عن عدم الوقوع في فخ الإصلاح بطريقة الصدمة وسنعمد إلى تسليط الضوء على أبرز التحديات التي تعترض مسار الإصلاحات الاقتصادية والسياسية ومن بينها:

أولاً: تحدي جماعات المصالح المكتسبة:

تتحقق الإصلاحات الاقتصادية في الوطن العربي إما **«بضغط من الأعلى»** ممثلاً بالإرادة السياسية و **«بضغط من الأسفل»** ممثلاً برغبة الجماهير الواسعة في إحداث إصلاحات غير مسبوقة تستجيب لتطلعاتهم وطموحاتهم في تحسين مستواهم المعيشي.

ولكن **«جماعات المصالح المكتسبة»** من سماسرة ووسطاء ومهربين وجامعي أموال وبعض المسؤولين المنتفعين والانتهازيين يقاومون حركة الإصلاح، ويقفون حائلاً دون تقاطع إرادة **«الضغط من الأعلى»** في الإصلاح، برغبة **«الضغط من الأسفل»** في نقطة التوازن.

وترى **«جماعات المصالح المكتسبة»** في الفوضى والتسيب والبيروقراطية والرشوة والفساد، المرتع الخصب الذي يوفر لهم مكتسباتهم غير المشروعة. ولهذا لايدخرون جهداً ولايعدمون وسيلة إلا ويستخدمونها لوضع العصي في عجلة الإصلاحات التي تستجيب لطموحات المواطنين. وفي مسعاهم هذا يلتقون

مع بعض العناصر المتطرفة من أوساط مايسمى بالمجتمع المدني، لاسيما الحاقدين منهم الذين يستعجلون قطف ثمار الإصلاحات قبل أوانها. واضعين العربة أمام الحصان، متجاهلين عن عمد بأن الاصلاحات الجذرية تتطلب المزيد من الوقت والجهد الكافيين، لأن الإصلاح المتسرع «بطريقة الصدمة» مُدمر، وبالمقابل التباطؤ الشديد في إنجاز الإصلاحات قاتل ومكلف من الناحيتين الاقتصادية والسياسية.

ثانياً: تحدي التعامل مع المؤسسات المالية الدولية:

في الوقت الذي تحررت فيه الدول العربية من بعض الضغوطات التي تفرزها التبعية للدول الأجنبية من ضغوط المديونية الخارجية، فإنها بقيت على علاقة مع صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، تحاورهما، وتتفاوض معهما إما على قاعدة عدم الانتقاص أو المساس بالقرار الوطني المستقل، وإما التفريط بكل ما يمس السيادة الوطنية.

إن بعض المختصين والمهتمين يشككون في جدوى التفاوض والتعامل مع الصندوق والبنك الدوليين، بوصفهما موضع ريبة وشك ومايعطيه هاتين المؤسستين بيد تأخذه باليد الأخرى في صورة إملاءات سياسية، وشروط اقتصاد مجحفة تمس السيادة الوطنية.

ومما لاشك فيه بأن المؤسسات المالية الدولية بحكم هيمنة الولايات المتحدة عليها، فإن التعامل معها ينطوي على بعض المخاطر والتي تتضمنها وصفة صندوق النقد والبنك الدوليين المتصلة بالإصلاحات الاقتصادية. سواء من حيث ترتيب أولويات التنمية، أم من حيث استيراد تكنولوجيا الاستهلاك بدلاً من تكنولوجيا الإنتاج، أم من حيث احتواء الاقتصاد الوطني في إطار منظومة الاقتصاد الرأسمالي المعولم.

إن الوصفات مسبقة الصنع المعدة بعناية من المؤسسات المالية الدولية، إنما تركن على قاعدة وحدة الأضداد، ففيها من الشيء المفيد الكثير، وفيها من الضار الكثير، وما علينا إلا أن ننتقي منها مايسهم في إصلاح الاقتصاد العربي ويحصنه

من التبعية للدول الأجنبية، لاسيما وأن بعض الدول العربية غير مدينة لصندوق النقد والبنك الدوليين، وسددت جميع التزاماتها تجاه هاتين المؤسستين، الأمر الذي يكسبها قدرة على التفاوض معهما على قاعدة الندية والتكافؤ، وماتوفره هاتين المؤسستين من موارد مالية يمكن تسخيرها في تمويل بعض المشروعات التنموية التي تُسهم في زيادة التشغيل والتوظيف الكامل لعناصر الإنتاج، وبما يخلص الاقتصاد العربي من أزماته الخانقة بأقل الخسائر.

ثالثاً: تحدي تخلف التشريع الضريبي:

أدخل النظام الضريبي بعض الدول العربية في دورة اقتصادية، يتعذر الخروج منها بالنوايا الطيبة، إذ لابد من إصلاح التشريع الضريبي سواء من حيث معالجة مشكلة تحقيق الضريبة، أم من حيث جبايتها ناهيك عن مشكلتي التهرب الضريبي والازدواج الضريبي.

والسياسة الضريبية بوصفها أداة مالية مرنة، تستعين وتستنجد بها الدولة لمعالجة الاختلالات الهيكلية التي يتعرض لها الاقتصاد الوطني لاتستخدمها الجهات المالية على هذا النحو، كونها تتميز بالثبات والاستقرار إلى درجة أن الجهات المعنية لاتعمد إلى تخفيف العبء الضريبي على المكلفين في مرحلة الركود الاقتصادي وبالمقابل لاتلجأ إلى زيادة الضرائب في مرحلة الازدهار الاقتصادي، بل ولاتسعى إلى زيادة الإنفاق العام في مرحلة الانكماش الاقتصادي، ولاتفكر في ضغط الإنفاق العام في مرحلة التوسع الاقتصادي، وهذا مايتعارض مع أبسط قواعد المالية العامة التي تقضي بتخفيض الضرائب وزيادة الإنفاق العام في طور الركود الاقتصادي، والعكس بالعكس في مرحلة الازدهار الاقتصادي.

رابعاً: تحدي تخلف الشبكة المصرفية:

شكل النظام المصرفي الحكومي في صورته القائمة في العديد من الأقطار العربية عقبة كأداء في طريق الإصلاح الاقتصادي، لاسيما مايتصل منه بتثبيت

سعري الصرف والفائدة، وأسلوب التعامل البيروقراطي مع الزبائن ولكن إحداث المصارف الخاصة وأسواق الأوراق المالية وبعد تحرير أسعار الصرف للعملات الوطنية، الذي كان يفترض أن يتوافق بتحرير سعر الفائدة، فإن من المتوقع أن تنطلق المصارف العربية في أداء المهام المناطة بها، وأداء دورها في جذب الاستثمارات وحتى لاتتحول المصارف الخاصة إلى شركات صرافة أو دكاكين لتبديل العملة على غرار ماحصل في بعض الدول العربية، فإن الضرورة تقتضي بأن تشدد الدولة بالشروط الناظمة لعمل هذه المصارف وبما يحول دون نزيف الأطر المؤهلة من القطاع المصرفي الحكومي إلى القطاع المصرفي الخاص.

خامساً: تحدي الرؤى التكنوقراطية:

يحصر بعض ذوي الاختصاص الإصلاحات الاقتصادية في زاوية ضيقة، من قبيل معالجة الاختلالات الهيكلية في الاقتصاد الوطني، وزيادة معدلات النمو، دون أن يأخذوا في الحسبان البعد الاجتماعي للإصلاح الاقتصادي ومنعكساته على المستوى المعيشي للسكان، وهذا يعني أنهم يجردون الإصلاحات من بعدها الاجتماعي، ويركزون فقط على البعد التقني، فالناس يهتمون برفع معدلات النمو الاقتصادي فقط إذا ما اقترنت بالتوزيع العادل للدخل القومي.

وبعض الرؤى التكنوقراطية لاتميز بين ماهو ممكن فنياً وبين ماهو ممكن اجتماعياً، ومثل هذا الأمر قد يتسبب في هدر الموارد الاقتصادية التي توظف في مشروعات عديمة الجدوى، والتي يمكن استثمارها في منشآت تحقق نفعاً للمجتمع، وتسهم في عملية الحراك الاجتماعي، وغالباً ماتركز بيوتات الخبرة الأجنبية على تطوير مشروعات البنية التحتية، وتنصح الدولة أن تتوجه نحو إصلاح الشبكة المصرفية، والنقدية والتجارة الخارجية.

وإذا كانت المشروعات تفتقر إلى الجدوى الاقتصادية سينعكس ذلك سلباً على معدلات النمو، فيرتفع التضخم وتزداد البطالة، والمديونية الخارجية، دون أن يقابل ذلك تراكم مماثل بالقدرة على الوفاء بأصل الدين والفوائد المترتبة عليه، أي

ستكون النتيجة ببعض النجاحات على مستوى الاقتصاد الجزئي ومزيداً من الإخفاقات على مستوى الاقتصاد الكلي.

والسؤال الذي يطرح نفسه ماهو الممكن فنياً؟ وعلى عجل نقول: إن الممكن فنياً هو إقامة مشروعات إنتاجية وخدمية بأقل تكلفة ممكنة، وتحقيق أكبر نفع للمجتمع في حال أخذ الاستحقاقات الاجتماعية في الحسبان، كالصحة والتربية والتعليم، وأن الممكن فنياً يفترض أن يتوامم مع الممكن اقتصادياً لاسيما عندما يُحسن صانع القرار الاقتصادي المفاضلة بين المشروعات الاقتصادية المطروحة وفقاً لأولويات التنمية، ومسألة الخيار هنا يقررها العائد الاقتصادي الذي تجنيه البلاد من وراء هذه المشروعات.

لقد نجحت بعض الدول العربية في جذب بعض الخبرات المهاجرة من الأطر الوطنية والعربية للاستفادة من خبراتهم المتراكمة في صياغة برامج للإصلاح الاقتصادي فراحت تدلي بدلوها وتسدي نصائحها لصانعي القرار الاقتصادي، ولكن بعض هذه الأطر جاءت وهي تحمل في جعبتها وصفتي صندوق النقد والبنك الدوليين، لاسيما مايتعلق منها بإلغاء الدعم الحكومي للسلع التموية الرئيسة، بالإضافة إلى تخفيض الإنفاق العام على التربية والتعليم والصحة، وخصصت مؤسسات القطاع العام ومثل هذه الوصفة يتسبب تطبيقها في ضرب المكتسبات الجماهيرية.

ومما لاشك فيه بأن الاستفادة من الكفاءات الوطنية في الخارج محط تقدير وترحيب وبشكل رافد للأطر المحلية دون استبدالها أو الحلول محلها، لاسيما وأن الأطر المحلية هي الأخرى مؤهلة وموضع ثقة من جانب المجتمع، وإذا ماتكاتفت وتظافرت الجهود المحلية مع الخبرات الوطنية المهاجرة فإنه بالإمكان مواجهة التحديات الاقتصادية وحلها بأقل تكلفة مادية وبشرية ممكنة، لاسيما إذا مااستوعبت هذه الأطر ثقافة الإصلاح وآمنت بها، وتمسكت بإرادة التغيير كوسيلة لإنعاش الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الوطن العربي.

وعلى التوازي بعض ذوي الاختصاص يهتمون بالجوانب الكمية والفنية

للإصلاحات الاقتصادية من قبيل تحرير سعري الصرف والفائدة، ومعالجة الخلل في ميزان التجارة الخارجية وفي ميزان المدفوعات وفي الموازنة العامة للدولة، وتطوير منظومة الحوافز والأجور الأمر الذي يحول دون أن تحقق الإصلاحات الاقتصادية بعدها الاجتماعي.

وهكذا مهما كانت سياسات الإصلاح معدة ومدروسة بعناية لن تحظى بموافقة جميع المختصين والمهتمين بالشأن العام، وبغض النظر عن صحة هذه الرؤى أو عدمها، راحت بعض الدول العربية تحقق الإصلاحات الاقتصادية بطريقة انتقائية، تركز إلى القواعد التالية:

- تحقيق الإصلاحات الاقتصادية والسياسية على قاعدة التواصل مع الماضي وماحققه من إنجازات يُعتد بها والانفتاح على الحاضر والمستقبل من خلال المزاوجة بين مزايا الاقتصاد والسوق ومزايا الاقتصاد والمخطط.

- استشارة المؤسسات المالية الدولية وبيوتات الخبرة الأجنبية، وأخذ مايتلاءم منها مع الخصوصية المحلية ومما يخدم المصلحة الوطنية والقومية العليا.

- التمسك بصيغة التعددية الاقتصادية والسياسية كإطار لإشراك فعاليات الاقتصاد الوطني كافة (عام - خاص - مشترك) في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

الشروط الحاكمة لإنجاح برامج الإصلاح الاقتصادي

من المتوقع لبرامج الإصلاح الاقتصادي في الأقطار العربية أن تُحقق نتائج غير مسبوقة تتصل برفع معدلات النمو وامتصاص البطالة واستقرار سعري الصرف والفائدة بالإضافة إلى تحقيق فائض في موازين المدفوعات والتجارة الخارجية ناهيك عن زيادة الناتج القومي وتحسين المستوى المعيشي للمواطنين، فأنصار الإصلاحات الاقتصادية في الوطن العربي وهم كثر، يرون أن سياستي التثبت والتكيف الهيكلي، ستسهمان في تحسين الأداء الاقتصادي من خلال التوظيف الكامل لعناصر الإنتاج (الأرض والعمل ورأس المال) وإن كانوا

لايتجاهلون الآثار السلبية التي ستترتب على تنفيذ برامج الإصلاح الاقتصادي على المدى القصير والتي سرعان ماتنحسر لتعم الآثار الإيجابية على المدى البعيد.

وبالمقابل فإن منتقدي الإصلاحات الاقتصادية يشككون في جدوى برامج الإصلاح لانها -برايهم- ستفضي إلى عدم استقرار الاسعار وإلى تراجع الاستثمار وبالتالي الإنتاج، فتحصل موجات تضخمية تتسبب في ارتفاع الاسعار التي سيتأثر بها سلباً ذوي الدخل المحدود، والتي ستحصل حكماً على المدى القصير، ولكن سرعان ماتتلاشى وتنتهي على المدى البعيد، عندما تبدأ الدول العربية تحصد ثمار برامج الإصلاح.

لقد أكدت تصريحات بعض المسؤولين والخبراء الاقتصاديين العرب بأن برامج الإصلاح، على ما اعتراها من سلبيات، يفترض بها أن تحقق نجاحات مامولة لاسيما في مجالات السيطرة على معدلات التضخم ورفع معدلات النمو ومكافحة البطالة، وتحسين المستوى المعيشي للمواطنين.

وبهدف تصحيح الاختلالات الهيكلية وتوفير مستلزمات التنمية المستدامة يقف صانع القرار الاقتصادي في الدول العربية أمام خيارين اثنين إما إبطاء عملية التنمية لمواجهة التراكمات التي تمخضت عنها السياسات التمويلية وإما البحث عن مصادر تمويل بديلة كالاستثمار المباشر مثلاً، وهذا مايفسر مسعى المؤسسات المعنية بالاستثمار لجذب المزيد من رؤوس الأموال العربية والاجنبية لإقامة مشروعات استثمارية تدفع بعجلة النمو الاقتصادي إلى الامام.

لقد غلبت سياستي التثبت والتكيف الهيكلي اعتبارات السياسات النقدية والمالية (أي خيار المدى القصير) على اعتبارات مواجهة الاختلالات الهيكلية الكامنة وراءها (أي خيار المدى البعيد) وربما أدى النجاح الجزئي للخيار الاول في بعض الدول العربية إلى تشجيع الأخرين إلى المغالاة في تطبيق السياسات التمويلية لمواجهة استحقاقات الإنفاق الجاري، بغية كسب رضا السواد الاعظم من المجتمع بغض النظر عما ينتظر الاجيال القادمة من مصير جراء تطبيق مثل هذه السياسة.

إن سياستي التثبت والتكيّف الهيكلي غالباً ماتطرح كرزمة متكاملة، وليس كعناصر فرعية للسياسات قابلة للاختيار فيما بينها، وأن القبول بها يعني التسليم المسبق بما يحتمل أن يترتب عليها من نتائج، وهذه السياسات غالباً ماتعتمد على أدوات التحليل النيوكلاسيكي الذي يُركز على التاثير في المتغيرات النقدية، ويُعلق أهمية قصوى على العرض الكلي كوسيلة لتحقيق التوازنات المرغوبة والمطلوبة في الاقتصاد الوطني، وإذا ما سلمنا بمنطق التحليل النيوكلاسيكي فإن ذلك يفترض بالضرورة إطلاق يد آليات السوق لتفعل فعلها من خلال جهاز الثمن، والتي من شانها أن تُصحح الاختلالات على المدى القصير وتمهد الطريق للتنمية المستدامة على المدى البعيد.

والتحليل الاقتصادي النيوكلاسيكي يفاضل في مرحلة الركود التضخمي بين مكافحة التضخم وبين مكافحة البطالة، ويغلب الخيار الاول على الخيار الثاني، اي أن الدول المتقدمة تحشد إمكاناتها للسيطرة على التضخم ومكافحته قبل التفكير في معالجة مشكلة البطالة، بيد أن الوضع في الدول العربية يختلف تماماً كونها لاتمتلك جهاز إنتاجي مرن، فهي تعاني من البطالة الراكدة، والراجعة أصلاً إلى تخلف جهازها الإنتاجي، مما يملي عليها أن ترجح الخيار الثاني على الخيار الاول، اي تُركز جهدها على معالجة مشكلة البطالة لتفادي الاضطرابات الاجتماعية، ولتجاوز هذه المعضلة يفترض بالدول العربية أن تفاضل بين التنمية والتضخم، وبالتاكيد خيار التنمية هو الذي سيمكنها من خلق فرص جديدة للعمل من جهة وفي زيادة القدرة الإنتاجية للبلاد من جهة أخرى.

وبطبيعة الحال تتوقف عملية المفاضلة بين الخيارات والسياسات على مدى قدرة الاقتصاد الوطني على تحمّل الزيادة في مستويات الأسعار من ناحية وعلى قدرة صانع القرار الاقتصادي في السيطرة عليها ضمن الحدود المسموح بها، وذلك من خلال استخدام الروافع المالية.

ومشروعات الإصلاحات الاقتصادية التي نحن بصدد مناقشتها يفترض أن تنطلق من خلفية نظرية معينة وتستخدم آليات محددة حتى تحقق النتائج المعلقة

عليها، بما في ذلك قضيتي جلب التكنولوجيا وتوطينها وجذب الاستثمارات وتوظيفها في خدمة التنمية. فالقضيتان مرتبطتان ببعضهما بعضاً كما حصل في دول النمور الآسيوية وفي بعض بلدان أميركا اللاتينية.

والسؤال الذي يحتاج إلى إضاءة هل سياستي التثبت والتكيف الهيكلي قدر محتوم لا مفر منه، وهل هناك من سياسة بديلة عنهما؟.

ومن أجل العثور عن السياسة البديلة لسياستي التثبت والتكيف الهيكلي، يفترض أن تتوجه السياسة البديلة نحو اجتثاث الأسباب، قبل معالجة النتائج التي تترتب عليها، من خلال توسيع الوظيفة الاقتصادية للدولة والاستنجاد بإمكاناتها في الحالات التي يتعرض لها الاقتصاد الوطني لانتكاسة، وأن تطلق يد الدولة في الأنشطة الاقتصادية التي لها مساس بالأمن القومي، وتترك هامشاً مرناً للقطاعين الخاص والمشترك، وفي الحدود التي لا تنتقص من الدور الريادي والقيادي للقطاع العام، بعدإعادة تأهيله من الداخل وبما يحرره من المنشآت التي ولدت ميتة ويتعذر إصلاحها.

إن مسؤولية صانع القرار الاقتصادي تفترض بالضرورة ألا يترك ثغرات في مشروع برنامج الإصلاح، وعليه أن يخلصه من مواطن الخلل والسلبيات، والبحث عن آليات متقدمة للنهوض بالتنمية بوصفها مسؤولية وطنية وقومية أولاً وأخيراً، وهي المدخل لضمان حياة حرة وكريمة للمواطنين العرب، والتي ترتبط في المقام الأول بقدرة الاقتصاد على النمو السريع وتوزيع عوائد هذا النمو على نحو عادل بين شرائح المجتمع وفئاته كافة.

والإصلاح الاقتصادي ليس قضية تقنية وحسب، بل هو قبل كل شيء وبعد كل شيء قضية اجتماعية، يفترض ألا تتسبب في تهميش القاعدة الشعبية وانحدار الطبقة الوسطى إلى الأدنى، وأن تحول دون تعميق ظاهرة الاستقطاب الاجتماعي، من خلال إعادة توزيع الدخل القومي توزيعاً عادلاً بين المواطنين. فالإصلاح الاقتصادي الحقيقي هو ذلك الإصلاح الذي يستجيب لاحتياجات الاقتصاد الوطني ويلبي الاستحقاقات الاجتماعية في آن واحد، وحتى يكون

الإصلاح كذلك يفترض أن يتم بموجب وصفة داخلية تركن إلى ثوابتنا الوطنية والقومية، ومن أبرز مؤشرات الوصفة الداخلية البديلة عن وصفة الخارج ما يلي:

- تحديد الميادين التي يفترض أن تتدخل بها الدولة، وتقييد دورها في المجالات التي لا ضرورة لها، وتعظيم دور الدولة في المجالات التي ترتبط بها حياة الناس، كالتربية والتعليم والصحة، وغيرها من الشؤون الاقتصادية التي تعزز الاستقرار الأمني والسياسي في الوطن العربي.
- البحث عن موقع للاقتصاد العربي في التكتلات الإقليمية والعربية والدولية ليتمكن من مواجهة المتغيرات الاقتصادية والانخراط في منظومة الاقتصاد العالمي.
- ترتيب العلاقة بين الداخل والخارج في ضوء المصلحة الوطنية والقومية العليا، بحيث تقوى الاقتصادات العربية على امتصاص الصدمات الخارجية بأقل قدر من الأضرار.
- التكيف مع البيئة الاقتصادية الدولية عبر الأساليب المباشرة المتمثلة بتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي للسكان حيثما كان ذلك ضرورياً، بالإضافة إلى اعتماد الأساليب غير المباشرة، وفي آليات السوق التي قد تكون في ظروف معينة أكثر فاعلية.
- استخدام الروافع الاقتصادية عند الضرورة بعيداً عن النصائح التقليدية التي تشدد على رفع سعر الفائدة مثلاً أو تخفيضها علماً بأن رفع سعر الفائدة يحفز على الادخار، ولكنه بالمقابل يثبط الاستثمار والعكس صحيح، وهذا يعني بأن سعر الفائدة سلاح ذو حدين، وحتى نحسن استخدامه لابد من تعزيزه بروافع أخرى لحفز الادخار وبروافع أخرى لحفز الاستثمار.
- اعتماد رزمة من آليات التحكم بالعرض الكلي وبرزمة بآليات بالتحكم بالطلب الكلي على السلع والخدمات، عند تطبيق برامج الإصلاح الاقتصادي، فالوصفة التقليدية لصندوق النقد الدولي تشدد على احتواء الطلب الكلي في الوقت الذي تتجاهل فيه العرض الكلي، ولهذا حتى تُنجز الأهداف المعلقة على برامج

الإصلاح يفترض تبني حزمة من السياسات النقدية والمالية والهيكلية، التي تصب في العرض الكلي من جهة، وتتحكم بالطلب الكلي من جهة أخرى، وفي مثل هذا الحال ستكون فاتورة الإصلاح الاقتصادي أقل تكلفة على المجتمع.

– التدرج في تطبيق برامج الإصلاح الاقتصادي والتتبع السليم في تنفيذه فلا معنى مثلاً لتحرير التجارة الخارجية دون أن يتزامن ذلك بإعادة هيكلة الاقتصاد الوطني لاسيما بالنسبة لمشروعات القطاعين العام والخاص.

– مراعاة البعد القومي للإصلاح الاقتصادي خدمة للمشروع القومي النهضوي.

وهكذا من سياق ما ورد تثير برامج الإصلاح الاقتصادي في الوطن العربي قضايا داخلية وخارجية على غاية من التشابك والتعقيد، إذ كيف يمكن تحقيق تنمية شاملة ومتوازنة ومستقلة في ظل التعاطي مع السوق العالمية وفي إطار استحقاقات منظمة التجارة العالمية، ثم كيف لنا أن نحصن الاقتصاد العربي من عدوى التقلبات التي يعاني منها الاقتصاد الدولي،سواء ماتعلق الأمر بالكساد أو الانتعاش الاقتصادي في السوق العالمي، وبالتالي، هل يمكن تنفيذ برامج الإصلاح الاقتصادي دون دعم المؤسسات المالية الدولية ومساندتها، والتي غالباً ما تقترن بشروط قاسية تفتقر إلى المنطق الاقتصادي من قبل تخفيض السعر الرسمي للعملة الوطنية وتفكيك أوصال القطاع العام...؟ الخ.

هذه الأسئلة وغيرها تملي على صانع القرار الاقتصادي في الوطن العربي مسؤولية وطنية على غاية من الأهمية تفترض التوفيق بين القرار الاقتصادي المستقل وعدم المساس بالسيادة الوطنية وبين عدم الانكشاف الاقتصادي على الخارج.

الإعلام السوري بعد سنوات الإغلاق والإلغاء

علي الحسن ★

يأتي كتاب «الإعلام السوري بعد سنوات الإغلاق والإلغاء» لمؤلفه الإعلامي سمير عبد الرحمن، الصادر حديثاً في دمشق عن دار الرضا للنشر ليكون بمثابة عدسة تعكس الصورة الحقيقية لواقع الإعلام السوري، عدا عن كونه الكتاب الأول من نوعه الذي يتناول الإعلام السوري بشمولية بعيداً عن التاريخية، ويغوص في مفاصله في مختلف ظروفه ومعطياته وإمكاناته وآلية عمله بموضوعية وواقعية ظل الحديث عنها يشوبه غموض ونقص وحذر دائما، موفراً بذلك خطوات كبيرة في طريق إصلاحه وتحسين صورته على مختلف الأصعدة.



ولم يكتف عبد الرحمن في فتح ملف الإعلام السوري - لاسيما بعد سنوات الإغلاق والإلغاء - بل لامس واقعه وتتبع حيثياته الدقيقة بمهنية عالية وحرفية أكاديمية قاربت قضايا هذا الإعلام رسميا وقانونيا إلى جانب آلية وكيفية التعاطي معه

★ محرر في مجلة المناضل

مهنيا سواء كان من داخل (المنظومة) أو من خارجها أفقيا وعمودياً ، وتعامل مع هذه المعطيات بأسلوب بحثي نأى عن المجاملة و غاص عميقا في مشكلات الإعلام السوري وهمومه، ومنغصاته وسلبياته ، مبرزاً مدى الضعف والهشاشة والرتابة والجمود الذي يعيشه ، محدداً نقاط الضعف ، ومشيراً إلى السلبيات ، موضحاً أسبابها ومسبباتها والعوامل أو المعوقات التي عمقت هذه السلبيات مضمناً بالوقت ذاته رؤيته كإعلامي الآفاق التي يمكن للإعلام أن يعمل في رحابها ليأخذ دوره الحقيقي البنّاء والفاعل بعيداً عن الشعاراتية والقوالب الجاهزة .

وما يميز الكتاب أن مؤلفه أكاديمي عايش الإعلام السوري من مواقع أو من مفاصل إنتاجه ، عدا عن الغيرية الواضحة في النَفس الكتابي والرغبة بإعلام متطور يجاري الأحداث ، ويحقق انتشاراً واسعاً وقبولاً جماهيرياً ضمن صيغ إعلامية تخدم السياقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والخدماتية والترفيهية والمعلوماتية .. وقد سجّل المؤلف الكثير من الملاحظات على الإعلام السوري ، والمفجع فيه ـ يقول عبد الرحمن ـ «هو أن تتحول الشوائب والسلبيات والأخطاء إلى إنجازات وبحماية وسائل الإعلام دائماً» ، مورداً عدداً من الأمثلة التي تؤكد ما ذهب إليه ، ويروي ضمن هذا السياق تجارب شخصية مَر بها أثناء عمله أو خلال دراسته الجامعية في قسم الصحافة (قسم الإعلام حالياً) ، محذراً من مغبة الاستمرار بتجاهل هذا القسم لأن مستقبل الإعلام في ضوء السياسية الإعلامية المتبعة لن يكون ملبيًا أو قادراً على تحقيق طموحات الدولة بأي شكل من الأشكال .

يعود المؤلف إلى التاريخ القريب للإعلام السوري ، مقدّماً معلومات أوليّة ضمن التحولات السياسيّة أو المراحل التاريخية التي مُرت بها سورية ، لا سيما مراحل ما بعد الاستقلال ، والوحدة، والانفصال، ومرحلة ما بعد 1963 لتتوضح عند هذا التاريخ بعض مكونات هذا الإعلام ، والبيئة التي

تحكمه ضمن مؤشرات إعلامية وثقافية ، وصولاً إلى المرجعية التي يعمل من خلالها الإعلام السوري ممثلة بـ (وزارة الإعلام) .

أما إذا أردنا الحديث عن الإمكانات التقنية فحالها ـ حسب الكاتب ـ لا يسر ، فقد تسابق المديرون ولجان المشتريات إلى شراء الحواسيب وإدخالها إلى المؤسسات الإعلامية بتكلفة تجاوزت عشرات الملايين لتصبح فيما بعد كقطع الديكور ، وربما ـ في أحسن الأحوال ـ تستخدم للتنضيد أو لتنفيذ الجريدة .. أما فيما يتعلق بالإمكانات الفنية والمادية فإن صورتها باهتة لأنه ـ وفق الكاتب ـ وبالنظر إلى الشهادات أو الاختصاصات فان 25 ٪ من العاملين في وسائل الإعلام أميّين ، ولا يشكل الجانب الاختصاصي فيهم الا نذراً يسيراً .. وهذا الحال ينطبق على مسألة التدريب والتأهيل التي يعتريها الاستهتار تارة ، أو تخضع لاعتبارات لا تخدم الغاية من وجودها داخلياً وخارجياً ، وعلى قلتها أيضاً تتم بآلية متخلفة لا تراعي الكفاءات أو القدرات التي يمتاز بها المرشحون الخاضعون لهذه الدورات..

والسؤال في ضوء ذلك ، ما هو موقف الجمهور من المنتج الإعلامي لا سيما وأن منافسات البث الفضائي على أشدها ؟ والحال هذه ـ ووفق المعطيات المادية والتقنية والفنية ـ فإن الإعلام السوري يجد نفسه شيئاً فشيئا يتخلى عن دوره التثقيفي والاجتماعي والخدمي والترفيهي .. وذلك يعود ـ حسب المؤلف ـ إلى غياب الحافز المادي والمعنوي لدى الصحفيين واقتصار دور الصحافة على الجانب التوجيهي والدعائي ، فجاء الانغماس في الشأن المحلي لسنوات طويلة بديلاً أساسياً عن الأدوار الأخرى وسبباً في تراجع أداء الصحافة، لتتحول إلى صحافة خدمات يلهث صحفيوها وراء مخالفات السكن وسرقة الكهرباء والماء وتزفيت الطرق...

ويسوق الكاتب بعض الأمثلة التي وجُهت فيها انتقادات للصحافة المحلية من داخل هذه الصحافة نفسها أو من خارجها لينتقل بعدها للحديث عن الصحافة

والمجتمع خاصة من خلال الدور الحاضر والغائب لاتحاد الصحفيين، متوقفاً عند مداولات الاجتماع الثالث للمؤتمر العام الثاني، وقانون المطبوعات الجديد والقديم مبدياً مجموعة من الملاحظات على الجديد، لعلّ من أهمها عمليات الدمج والإلغاء لبعض المواد وتبديل المصطلحات والكلمات، ناهيك عن عدم مراعاته لأمن الصحفي الشخصي، ففي مواد القانون لا سيما المتضمنة جرائم المطبوعات ما يدعو ـ وفق المؤلف ـ إلى تضييق الخناق على حرية الرأي والتي لا تساعد على توفير حرية الصحافة والتي يتبين من مواده أن التشدد هو ما يطبع القانون بطابعه، ولا سيما الإكثار من العقوبات المانعة للحرية، الأمر الذي لا يمكن أن يوفر الأجواء والظروف المناسبة ليمارس الصحفي دوره المهني والوطني نحو التطوير والإصلاح بما في ذلك التصدي لمظاهر الخلل والفساد والبيروقراطية، لافتاً إلى ضرورة تعديل القانون بحيث لا يكون الصحفي عرضة للعقاب والإيذاء أو المساس بأمنه بسبب ممارسة المهنة، وإطلاق حرية الصحافة وعدم تقييد أقلام الصحفيين، وان يكون لاتحاد الصحفيين وحده مسؤولية محاسبة الصحفي، وإلى ذاك يبقى القانون متخلفاً عن التطور الذي حصل على أنظمة الاتصال والإعلام.

وفيما يتعلق بدور الحكومة أو علاقتها بالإعلام فعيبها ـ على حد قول الكاتب ـ أنها أممت الصحافة، لكنها لم تتعلم كيفية بناء علاقة صحيحة مع هذه الصحافة ... وظلت ترهب جانب الصحافة رغم امتلاكها لوسائلها.

ـ **الكتاب:** الإعلام السوري
بعد سنوات الإغلاق والإلغاء.
ـ **المؤلف:** سمير عبد الرحمن.
ـ **الناشر:** دار الرضا للنشر، دمشق 2003

من ذاكرة الحزب

المناضل★

تختزن ذاكرتنا الحزبية العديد من المواقف المبدئية تجاه مختلف القضايا القومية والوطنية، وفي عددنا هذا نتوقف عند بعضها.

ذكرى وعد بلفور وتقسيم فلسطين

ـ أصدر حزب البعث العربي الاشتراكي فرع سورية في الثاني من تشرين الثاني عام 1954 بياناً بمناسبة مرور سبعة وثلاثين عاماً على الذكرى الأليمة لوعد بلفور الذي أعطت فيه بريطانيا وعداً لليهود بإقامة وطن قومي لهم على أرض فلسطين العربية ونقتطف منه مايلي:

«أيها العرب في كل مكان، في مثل هذا اليوم قبل سبعة وثلاثين عاماً، قطعت بريطانيا عهداً ليهود العالم بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين العربية، ثم شاركتها في هذه الجريمة التاريخية النكراء فرنسا والولايات المتحدة، ومازالت هذه الدولة الاستعمارية تواصل تآمرها على وجود الأمة العربية ونهضتها حتى تم لها أخيراً إنشاء دولة إسرائيل الباغية في قلب وطننا كأكبر معرقل لوحدته ونهضته على حساب مليون من المواطنين العرب في فلسطين قتلوا وشردوا من ديارهم على أفظع شكل عرفه التاريخ».

«إن بريطانيا وأميركا وفرنسا، هذه الدول التي يضمها اليوم المعسكر الاستعماري الغربي، هي التي بتسليمها فلسطين العربية لليهود، قد ارتكبت بحق العرب والإنسانية جريمة فريدة في التاريخ، وهي بنفسها التي مابرحت

تنكل بالعرب وتصر على استعبادهم وإفنائهم ونهب ثرواتهم وخيرات أرضهم في كل مكان ، في مراكش وتونس وليبيا والعراق والأردن والحجاز والكويت والمحميات».

دمشق 2 تشرين الثاني سنة 1954

-كما أصدر حزب البعث العربي الاشتراكي فرع سورية بياناً في 29 تشرين الثاني عام 1954 بمناسبة مرور سبعة أعوام على تقسيم فلسطين ومما جاء فيه.

«في مثل هذا اليوم قبل سبعة أعوام تآمر أعداء العرب ، الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا مع الاتحاد السوفياتي ، وأقروا تقسيم فلسطين وسلموها لعدوان الصهيونية الباغية ، على مرأى ومسمع من ملوك العرب وحكامهم المشغولين بالتنافس الحقير فيما بينهم ، وبحياة الترف والشهوات الدنيئة».

«وما يزال الاستعمار يواصل عدوانه على أرضنا وسرقته لخيراتنا وعرقلته لوحدتنا ويمعن تقتيلاً في شعبنا في المغرب العربي ، في حين يستمر الملوك والحكام في استخذائهم أمام الاستعمار وتآمرهم على الشعب واستعباده وامتصاص دمائه».

«أيها الشعب العربي ، كل عام يمر يأتي ببرهان جديد على إصرار الدول الاستعمارية على سياستها العدوانية ومشروعاتها الإجرامية بحق وطننا العربي الغالي ، وكل يوم يمضي يقدم حجة جديدة على فساد الفئات الحاكمة في وطننا وعجزها عن حمل أعباء المهمة القومية المقدسة ، وتآمرها الصريح على حرية الشعب وحقه في أن يحيا حياة كريمة مبدعة في وطن موحد».

دمشق 29 تشرين الثاني 1954 — حزب البعث العربي الاشتراكي

ذكرى الحركة التصحيحية المباركة

-أصدرت القيادة القومية لحزبنا في الذكرى السابعة لقيام الحركة التصحيحية المجيدة التي قادها القائد الخالد حافظ الأسد بياناً جاء فيه :

يا جماهير أمتنا العربية

أيها الرفاق :

«منذ طرحت الحركة التصحيحية شعار العمل السياسي وسيلة لتحقيق أهداف النضال العربي المرحلية في الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي العربية المحتلة وإقرار حقوق شعب فلسطين الوطنية الثابتة ، لم يكن ذلك الشعار بديلاً للاختيارات الأخرى المطروحة أمام الأمة العربية لتحقيق تلك الأهداف وكنا ندرك ـ تماماً ـ أن العمل السياسي هو وسيلة متممة لتلك الاختيارات لا يلغيها بالضرورة ، وليس نقيضاً له».

«وكنا ندرك ـ أيضا ـ أن العدو لن يستجيب طواعية لمتطلبات النضال العربي في تحقيق السلام العادل، لأنه يقوم ـ أصلاً ـ على العدوان والتوسع ، ولا بد من استخدام كل الوسائل ، والإمكانات العربية المتاحة لإرغامه على ذلك».

« إن التضامن العربي الذي تعمل له سورية ، وتراه هدفاً لازماً ، وهاماً هو بالضرورة ـ تضامن إيجابي نضالي ، يضع المعركة مع العدو فوق كل شيء تضامن يرفض أية مساومة على الحقوق العربية، ويلتزم بالنضال ، وحشد كل الطاقات العربية المتاحة ومن أجل تحقيق الانسحاب الإسرائيلي الشامل من الأراضي المحتلة وضمان حقوق شعب فلسطين ... تضامن مع السلام العادل ، وليس مع الاستسلام ، والتفريط بالحقوق العربية».

يا جماهير شعبنا العظيم

أيها الرفاق :

«نحن نعلم أن الموقف القومي المبدئي للقطر العربي السوري من القضايا والمشروعات المطروحة ، سيجر على سورية الكثير من الضغوط المختلفة ، والتي

ستأخـذ أشكالا وصيغـاً متنوعـة . ولكن سـورية البعث ، سـوريـة الحركـة التصحيحيـة هي على الدوام ، مستعـدة للصمـود ، وقـادرة على مـواجهـة كل الاحتمالات والمؤامرات ، بكل كبرياء وشرف ، مستمدة من قـدسية قضيتها ، ومن طموح الجماهير العربية التي تمثلها وتجسد طاقاتها .... القدرة على رفض كل ما يمس قضايانا العـربية . وهي متمسكة، بكل مواقفها المبـدئية من قضية الصراع العـربي ـ الصهيـوني ، ومن مسألة السـلام العـادل ، بما يتطلب منا ـ حـزباً وجماهير ـ المزيد من اليقظة والحذر ، والمزيـد من العمل الجدي الهادف ، لترسيخ قيم تشرين التصحيح ، ومبـادئهـا ، في حيـاتنـا اليـومية ، وتمثل أبعـادها في ممارسـاتنا ، وعـلاقـاتنا ، حتى تتحـول تلك القيم الحزبيـة والنضـاليـة ، والديمقراطية التي طرحتها تشرين التصحيح إلى سلوك نضالي ، وتقاليد أخلاقية في ضمائرنا كي نستطيع أن نتصدى للهجمة الشرسـة التي تقاد الآن ضد سورية شعبها وحزبها، وضد الأمة العربية ، وقضيتها.

القيادةالقومية 1977/11/15

أنشطةووثائق

إعداد :سهيلا مرزوق ★

● القيادة القومية

ـ تلقت القيادة القـومية لحزب البعث العـربي الاشتراكي العديد من بـرقيات التهنئة بمناسبة الذكرى الثالثة والثـلاثين لقيام الحركة التصحيحية المجيدة وقد وردت هذه البرقيات من فـروع حزب البعث العربي الاشتراكي والجبهـة الوطنية التقدمية والمنظمات الشعبية والنقابات المهنيـة داخل الجمهورية العربية السورية ومن منظمات الحزب القـومية وفـروع الاتحاد الوطني لطلبة سـورية في الأقطار العربية والدول الأجنبية . كما وصلت من أحزاب عـربية شقيقة وأجنبية صديقة ومن منظمات وهيئات وشخصيات عربية ودولية ومن روابط المغتربين العرب في العالم . وأشـادت البرقيات بمـواقف سورية القـومية وبنهجهـا المبدئي والثـابت وبالإنجازات العظيمة التي تحققت لجماهير شعبنا .

ـ تلقى الرفيق عبد الله الأحمر الأمين العام المساعد للحزب برقية تضامن من الاتحاد العام للطلبة العرب . أعرب فيهـا عن التضامن العربي الدائم والمستمر مع سورية شعباً وحزباً وقيادة وطلاباً ضد العدوان الإسرائيلي السافر على سورية ، وفي مواجهة المخططات الامبريالية الصهيونية ، وأطلق الاتحاد العام للطلبة العرب مبادرة لعقد لقاء تضامني طلابي شبابي عربي ودولي مع سورية والأمة العربية ، على أن يعقـد في دمشق بتـاريخ2004\1\10 ويستضيفـه الاتحاد الوطني لطلبة سـورية كما أطلق بادرة أخرى أسماها (**قانون مؤازرة سورية**) بمواجهة ما أسمتـه أميركا (بقـانون محاسبة سـورية) وعبرت البرقية عن التقـدير الكبير

★ محررة في مجلة المناضل.

للمواقف الوطنية والقومية الثابتة لسورية بقيادة السيد الرئيس بشار الأسد ومواقف حزب البعث العربي الاشتراكي .

● تلبية لدعوة من القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي زار القطر العربي السوري العديد من الوفود الحزبية ، عربية شقيقة وأجنبية صديقة وذلك خلال شهري تشرين الثاني وكانون الأول منها .

ـ وفد الحزب الشيوعي الصيني برئاسة السيد ووقوان تشينغ عضو اللجنة الدائمة للمكتب السياسي للجنة المركزية أمين لجنة الفحص والتفتيش المركزية .

ـ وفد حزب الاتحاد الديمقراطي السوداني برئاسة الدكتور جلال يوسف الدقير الأمين العام للحزب وزير الصناعة في جمهورية السودان . والتقى الوفدان بالرفيق الدكتور بشار الأسد الأمين القطري للحزب رئيس الجمهورية العربية السورية وبالرفيق عبد الله الأحمر الأمين العام المساعد للحزب بحضور الرفيق الدكتور فواز الصياغ عضو القيادة القومية الاحتياط .

وأجرى الوفدان خلال لقاءاتهما مباحثات تناولت أهم القضايا العربية والدولية لاسيما ما يجري في العراق والأراضي الفلسطينية المحتلة ، وعلاقات التعاون والصداقة بين الحزبين وحزب البعث العربي الاشتراكي .

–وأجرت وفود أخرى من الحزب الشيوعي القبرصي برئاسة السيد اندريوس كيريانو سكرتير العلاقات الدولية للحزب وحزب المؤتمر الشعبي العام في اليمن برئاسة الدكتور أحمد محمد الأصبحي الأمين العام المساعد للحزب وحزب العمال الهنغاري برئاسة الدكتور تورمر جولا رئيس الحزب . مباحثات في القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي مع الرفيق عبد الله الأحمر الأمين العام المساعد للحزب وبحضور الرفيق الدكتور فواز الصياغ عضو القيادة القومية الاحتياط تناولت فيها علاقات التعاون بين هذه الأحزاب وحزب البعث العربي الاشتراكي والأوضاع في المنطقة والعالم لاسيما في العراق والأراضي الفلسطينية المحتلة وفي ختام المباحثات تم التوقيع على اتفاقيات تعاون بين هذه الأحزاب وحزب البعث العربي الاشتراكي .

ـ بدعوة من القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي زار سورية وفد من حزب المؤتلفة الإسلامي الإيراني برئاسة الدكتور حسن غفوري قره عضو اللجنة المركزية للحزب، وأجرى الرفيق عبد الله الأحمر الأمين العام المساعد للحزب معه مباحثات بحضور الرفيق متعب شنان عضو القيادة القومية تناولت علاقات الحزبين وتطويرها وأهم القضايا العربية والإقليمية، وفي نهاية المباحثات وقعّ الرفيق عبد الله الأحمر والسيد غفوري قره اتفاق تعاون بهدف تعزيز العلاقات بين الحزبين وبما يخدم المصالح المشتركة بين البلدين الصديقين.

●التقى الرفيق عبد الله الأحمر الأمين العام المساعد للحزب كل من السادة :

ـ السيد سليمان الشحومي أمين العلاقات الخارجية في مؤتمر الشعب العام للجماهيرية الليبية وأجرى معه مباحثات تناولت الأوضاع في المنطقة والعالم .

ـ السيد مسعود البارازاني رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني عضو المجلس الانتقالي في العراق وتناولا الوضع في العراق وأكدا على ضرورة تعزيز الوحدة الوطنية العراقية ،والعمل على استعادة الشعب العراقي سيادته على أراضيه وثرواته واختيار قيادته وحكومته بنفسه دون أي تدخل خارجي .

●وفي إطار تعزيز علاقات التعاون والأخوة مع الأحزاب الشقيقة وقع الرفيق عبد الله الأحمر الأمين العام المساعد للحزب والسيد أبو جرة سلطاني رئيس حزب حركة مجتمع السلم الجزائري خلال كانون الأول الماضي اتفاق تعاون بين الحزبين بهدف تعزيز نشاطات الحزبين وتعاونهما في تعزيز روابط الأخوة بين البلدين الشقيقين وحضر حفل التوقيع الرفيق محمد صالح الهرماسي عضو القيادة القومية للحزب .

منظمات الحزب داخل الوطن

ـ القطر السوري

ـ احتفلت جماهير حزبنا وشعبنا بالذكرى الثالثة والثلاثين لقيام الحركة التصحيحية المجيدة التي قادها القائد الخالد حافظ الأسد ، وبهذه المناسبة العظيمة أمت مدينة القرداحة وفوداً شعبية ورسمية وجماهير غفيرة من

المحافظات السورية ضريح القائد الخالد ووضعت أكاليل الزهر وقرأت الفاتحة على روحه الطاهرة .

ـ وأصدرت المنظمات الشعبية والنقابات المهنية في القطر العربي السوري بياناً أكدت فيه أن الحركة شكلت قاعدة الانطلاق لحالة النهوض الوطني والقومي الشامل في حياة شعبنا وحزبنا وأمتنا ، وعاهدت الرفيق الدكتور بشار الأسد المضي خلف قيادته الحكيمة والشجاعة .

ـ برعاية الرفيق الدكتور بشار الأسد الأمين القطري للحزب رئيس الجمهورية العربية السورية أقيم مهرجاناً خطابياً مركزياً حضره الرفيق عبد الله الأحمر الأمين العام المساعد للحزب ، ألقى خلاله الرفيق الدكتور سليمان قداح الأمين القطري المساعد للحزب كلمة نصها في ص/10/ .

ـ القطر الفلسطيني ـ اللبناني

أحيت القيادة القطرية الفلسطينية واللبنانية لحزب البعث العربي الاشتراكي الذكرى الثالثة والثلاثين لقيام الحركة التصحيحية المجيدة بإقامة مهرجانات خطابية حضرها الرفاق :محمد ناصر الأمين القطري المساعد للتنظيم الفلسطيني ومعين حامد وعلي مصطفى وسامي قنديل أعضاء القيادة القطرية الفلسطينية وأمناء الفروع في التنظيم الفلسطيني ، والرفيق عاصم قانصوه الأمين القطري للحزب في لبنان وأمناء فروع الحزب وممثلو الرئيس اللبناني وشخصيات رسمية أخرى .

ألقيت خلال المهرجانات كلمات تحدثت عن إنجازات الحركة التصحيحية التي جعلت من سورية دولة قوية قادرة على الوقوف في وجه التحديات التي واجهتها وما زالت تواجهها ، مشيدة بالقيادة الحكيمة والشجاعة للرفيق الدكتور بشار الأسد الأمين القطري للحزب رئيس الجمهورية العربية السورية .

ـ القطر السوداني

أصدرت منظمة الحزب في السودان بمناسبة الذكرى الثالثة والثلاثين للحركة التصحيحية العدد / 137 / تشرين الأول 2003 من مجلة المناضل .

ـ القطر التونسي :

ـ أصدرت اللجنة الوطنية لمناهضة الصهيونية في تونس بياناً حول الاحتلال الذي يتعرض له العراق والضغوط التي تمارس على سورية جاء فيه : تحليلاً للأسباب التي سوغت لأميركا احتلال العراق أن الهدف الأساسي هو سلب ونهب ثرواته وخيراته ، وفي مقدمتها النفط ، وإعادة تشكيل خارطة المنطقة سياسياً واقتصادياً وثقافياً ، وذلك ضمن استراتيجية الولايات المتحدة في (أمركة العالم) للسيطرة على مقدراته وإمكاناته. وما حرب الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني إلا تصفية للقضية المركزية للأمة العربية وتثبيت للكيان الصهيوني بتفوقه عسكرياً على القدرات العربية ، استمرارا لهذا المد الاستعماري الاستيطاني. بدأ اليمين المتصهين المتحكم بالإدارة الأميركية والكيان الصهيوني إطلاق التهديدات ضد سورية ولبنان والمقاومة الفلسطينية ليشكلوا أكبر قوة .

وما الاعتداء الصهيوني الغاشم ضد الأراضي السورية وإطلاق (قانون محاسبة سورية) إنما يأتي في إطار الضغط على سورية لدفعها في التخلي عن مواقفها المبدئية الثابتة ولإخضاعها للاملاءات الرامية إلى نزع سلاح المقاومة اللبنانية والفلسطينية وإلى عزل الشعب الفلسطيني ، والقبول بمبدأ التسوية المذلة ، بالإضافة إلى منع احتضان المقاومة العراقية .

ووجهت اللجنة من خلال البيان تحية لسورية على مواقفها القومية الثابتة بوجه المخططات الصهيونية الامبريالية . مؤكدة على أهمية التصدي الجماعي من خلال التعبئة الشاملة للجماهير العربية والإسلامية ، وتوحيد عمل الأحزاب الوطنية ، والمنظمات الأهلية ، والمهنية والشعبية كافة . في الرفض التام ومقاومة الغزاة والتمسك بثوابت الأمة .

ـ القطر اليمني :

ضمن تقرير سياسي إعلامي ورد من منظمتنا في اليمن ، شعبة الوافدين تاريخ 2003\11\30 رصد خلاله رؤية المراقبين السياسيين والإعلاميين وآرائهم وتحليلاتهم للموقف الأميركي تجاه الأمة العربية وسورية خاصة

لاسيما من (قانون محاسبة سورية) وحالة السخط والاستنكار التي أثارها هذا القانون، ودعوتهم الصريحة لموقف فعال وجاد حيال عناصر التصهين في السياسة الأمريكية وموقف الإدارة الأمريكية التي لا تقيم أي وزن واعتبار للمصالح والمشاعر العربية.

مبيناً التقرير الأسباب والدوافع والأهداف الأمريكية من إصدار مثل هذا القانون للضغط على سورية، وإضعاف الموقف العربي برمته، لصالح الحليف الاستراتيجي (إسرائيل) عبر احتلال العراق وابتزاز السعودية وتجاهل الشرعية الدولية.

مشيراً إلى أن المحللين السياسيين والإعلاميين رأوا في أن ما أثار حفيظة الولايات المتحدة، هو عدم حياد سورية عن مواقفها الثابتة والمبدئية تجاه القضايا الوطنية والقومية ودفاعها الدائم في مختلف المحافل الدولية والإقليمية عن هذه المصالح العربية. ولم يغفل التقرير الصحوة الأوربية التي بدأت تلوح في الأفق وتخلص أوربا من تأثيرات الخداع والتضليل الإعلامي الصهيوني.

منظمات الحزب خارج الوطن العربي

بمناسبة الذكرى الثالثة والثلاثين لقيام الحركة التصحيحية المباركة احتفلت منظمات الحزب القومية خارج الوطن العربي وبالتعاون مع السفارات السورية وفروع الاتحاد الوطني لطلبة سورية وروابط المغتربين العرب السوريين في (اليونان - تركيا - هنغاريا - فرنسا - أرمينيا - استراليا - بولونيا - البرازيل - فنزويلا - رومانيا - ألمانيا) بإقامة المهرجانات الخطابية والفعاليات الثقافية المتنوعة وإصدار البيانات التي تحدثت عن الإنجازات العظيمة للتصحيح المجيد، منددة بالاحتلال الأميركي للعراق والممارسات العدوانية الإرهابية ضد الشعب العربي في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وأدانت العدوان الإسرائيلي ضد الأراضي السورية، مشيدة بالمواقف الشجاعة والحكيمة للرفيق الدكتور بشار الأسد الأمين القطري للحزب رئيس الجمهورية العربية السورية.

مفكرة الأحداث

شهدت سورية خلال شهري تشرين الثاني وكانون الأول حركة سياسية كبيرة وقد زارتها العديد من الوفود الرسمية الرفيعة المستوى، عربية شقيقة وأجنبية صديقة، مؤكدة بذلك الدور الإقليمي والدولي المتميز والهام الذي تتمتع به سورية، من خلال سياستها الواضحة والجادة من القضايا العربية والإقليمية والدولية كافة، في المحافل والمؤتمرات الإقليمية والدولية.

ومن الوفود التي زارت سورية:

- الملك خوان كارلوس ملك إسبانيا وعقيلته.
- الرئيس محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية.
- السيد انابيهاري فاجبايي رئيس وزراء الهند
- الرئيس أميل لحود رئيس الجمهورية اللبنانية
- الرئيس لويس اناسيو لولادا سليفا رئيس الجمهورية الاتحادية البرازيلية
- الرئيس الكسندر لوكاشينكو رئيس جمهورية بيلاروسيا

وأجرى الملوك والرؤساء خلال الزيارة مباحثات ولقاءات مع كبار المسؤولين في الدولة، وفي مقدمتهم الرفيق الدكتور بشار الأسد الأمين القطري للحزب رئيس الجمهورية العربية السورية، تناولت أهم القضايا العربية والإقليمية والدولية في المرحلة الراهنة، لاسيما الوضع في العراق والأراضي الفلسطينية المحتلة وما يتعرض له القطر السوري من ضغوط واستفزازات، لاسيما من قبل الولايات المتحدة والكيان الصهيوني. وأدان الزعماء الضيوف هذه السياسة الرعناء، وإشادتهم بمواقف سورية المبدئية، وفي ختام المباحثات واللقاءات تم التوقيع على العديد من الاتفاقيات بين الجمهورية العربية السورية وتلك الدول.

كما صدرت بيانات مشتركة تضمنت الرؤى المشتركة وتقارب المواقف بين سورية وهذه الدول في مختلف القضايا الإقليمية والدولية والتأكيد على صيانة الأمن والسلام الدوليين في العالم.

- القمة السورية - القطرية

زار الرفيق الدكتور بشار الأسد الأمين القطري للحزب رئيس الجمهورية خلال الفترة الواقعة بين 2003\10\24-23 دولة قطر أجرى خلالها محادثات مع الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير دولة قطر تناولت العلاقات الثنائية والأوضاع في المنطقة وخاصة في الأراضي الفلسطينية المحتلة والعراق. وفي نهاية المحادثات تم التوقيع على اتفاقيات ثنائية تسهم في دعم العلاقات بين البلدين الشقيقين.

- الانتخابات البرلمانية في سويسرا:

تمت يوم 2003\11\19 انتخابات برلمانية في سويسرا وأدلى الناخبون بأصواتهم لانتخاب /246/ عضواً للبرلمان وحصل حزب الشعب على /55/ مقعداً منها والحزب الاشتراكي الديمقراطي على /52/ مقعداً أما المقاعد الباقية تقاسمها الحزب الديمقراطي المسيحي والحزب الراديكالي الديمقراطي وحزب الخضر.

- مؤتمر مدريد للدول المانحة لإعمار العراق.

عقد في مدريد يومي 2003\10\24-23 مؤتمر الدول المانحة من أجل إعمار العراق تحت رعاية منظمة الأمم المتحدة والبنك الدولي وبدعوة من الولايات المتحدة. التي هدفت منه توفير مساعدات ومبالغ من دول العالم لإعادة إعمار العراق الذي شهد خراباً ودماراً لبنيته الاقتصادية والخدمية من جراء العدوان الأميركي على أراضيه ولكن المؤتمر فشل في الحصول على نصف المبلغ المطلوب الـ/33/ مليار دولار. دفعت منها أميركا /20/ مليار دولار وقُدمت /13/ مليار دولار على شكل قروض وهبات ولهذا فقد عُد هذا المؤتمر مؤتمراً للدائنين وليس للمانحين.

- الدورة الطارئة للاتحاد البرلماني العربي.

عقدت بدمشق الدورة /44/ الطارئة لمجلس الاتحاد البرلماني العربي يوم 2003\11\2 تحت عنوان «الوطن العربي كله سورية» للتضامن مع سورية

إزاء العدوان الإسرائيلي الأخير ضد أراضيها وبمشاركة البرلمانات ومجالس الشورى العربية كافة. وأدان المشاركون هذا العدوان واعتبروه حلقة في إطار مخطط إسرائيلي لجر المنطقة لمزيد من التوتر والمخاطر وفي ختام الدورة صدر بيان عبّر فيه المشاركون عن تضامنهم مع انتفاضة شعبنا الفلسطيني ومع المقاومة العراقية ضد الاحتلال الأميركي.

- الدورة السادسة عشرة لاتحاد النقابات العالمي: أصدر المجلس الرئاسي لاتحاد النقابات العالمي بلاغاً في ختام دورته السادسة عشرة التي عقدت في مدينة هانوي يومي 2003\10\16-15 عبّر فيه عن تضامنه مع عمال وشعب سورية، وحيا القيادة الحكيمة للرفيق الدكتور بشار الأسد الأمين القطري رئيس الجمهورية وثمّن السياسات والمواقف المبدئية الثابتة لسورية وأكد مناصرته لسورية وللحق العربي وأدان البلاغ العدوان الإسرائيلي ضد الأراضي السورية وعبّر عن تقديره البالغ للقيادة السورية لما تحلت به من بعد نظر وضبط النفس والالتزام بالقانون الدولي واحترام سورية للمجتمع الدولي.

- الجولة الثانية عشرة من مفاوضات الشراكة السورية - الأوربية

جرت في دمشق بتاريخ 2003\12\9 الجولة الأخيرة من مفاوضات الشراكة السورية - الأوربية توصل فيها الجانبان إلى رؤية مشتركة حول مختلف القضايا والمجالات المطروحة للتعاون وكانت قد عقدت في وقت سابق الجولة الحادية عشرة في بروكسل - وبالتالي لم يبق سوى صياغة الاتفاقية نهائياً وترجمتها وإعدادها لتقديمها للموافقة عليها من قبل الجهات السياسية في كل من سورية والاتحاد الأوربي.

- الانتخابات الرئاسية في موريتانيا.

جرت في موريتانيا يوم 2003\11\7 انتخابات رئاسية تنافس فيها ستة مرشحين وكانت النتائج على النحو الآتي.

فاز بالمركز الأول الرئيس الموريتاني الحالي معاوية ولد سيد أحمد الطايع بحصوله على 66.69 ٪ وهو مرشح الحزب الجمهوري الديمقراطي الاجتماعي

الحاكم الذي يهيمن على البرلمان . وجاء الرئيس السابق محمد خونا ولد هيدالة بالمركز الثاني لحصوله على 18.73 ٪ ويؤيده التيار الإسلامي وحزب اتحاد قوى التقدم وبعض قيادات الحزب الحاكم . أما المرشح الثالث أحمد ولد داداه مرشح تجمع القوى الديمقراطية حصل على 6.89 ٪ . ومرشح حزب العمل من أجل التغيير مسعود ولد بو لخير رئيس الحزب جاء في المركز الرابع وحصل على نسبة 5.3 ٪ وتلاه المرشح مولاي الحسن ولد الجيد رئيس حزب التجديد بنسبة 1.48 ٪ وجاءت المرشحة المستقلة العضوة السابقة في الحزب الحاكم عائشة بنت جُدان لتحتل المركز السادس بنسبة 0.47 ٪ .

ـ الانتخابات التشريعية في اليابان .

جرت في اليابان يوم 9\12\2003 انتخابات تشريعية لانتخاب مجلس النواب والشيوخ وسط تنافس حاد بين الائتلاف الحاكم بزعامة الحزب الديمقراطي الليبرالي الذي يترأسه رئيس الوزراء كويزومي وأكبر أحزاب المعارضة الحزب الديمقراطي .

تنافس فيها 1159 مرشحاً على 480 مقعداً في مجلس النواب حصل الائتلاف على 279 مقعداً والمعارض على 186 مقعداً والشيوعي /9/ مقاعد والاشتراكي /6/ مقاعد وفي مجلس الشيوخ حصل الائتلاف على /63/ مقعداً من أصل 126 مقعداً .

ببليو غرافيا «المناضل» للعام 2003

العدد 318 كانون الثاني ـ شباط

ـ الدفاع عن العراق وشعبه دفاع عن القيم والمبادىء.

الرفيق الدكتور فواز الصياغ
عضو القيادة القومية الاحتياط
رئيس هيئة التحرير

ـ تغير العالم فمتى نتغير نحن؟ — د. رفعت السعيد

ـ أزمة حركة التحرر الوطنية العربية القديمة والجديدة كيف نواجهها ؟ — كريم مروة

ـ حركة التحرر العربية بين الأمس واليوم. — فوزي الجودة

ـ حركة التحرر العربية مشروعية المنهج في التوصيف والتحليل. — أحمد الحاج علي

ـ الخروج من حصار الأزمات . — عارف الآغا

ـ التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى وما وراء القفقاس حقيقته . وطبيعته . وأهدافه . ومخاطره . — محمد علي سرحان

ـ حرية الفرد وضرورة المجتمع (الحرية وعي الضرورة). — د. فيصل سعد

ـ تهويد المعرفة . — علي الحسن

ـ من ذاكرة الحزب . — المناضل

ـ وثائق . — المناضل

ـ أنشطة. — إعداد سهيلا مرزوق

العدد 319 آذار - نيسان

- وحدة العراق وتحرره هدف وطني وقومي واجب الإنجاز.

الرفيق الدكتور فواز الصياغ
عضو القيادة القومية الاحتياط
رئيس هيئة التحرير

- العيد الأربعون لثورة آذار المجيدة وكلمة السيد الرئيس بشار الأسد في افتتاح الدور التشريعي العادي لمجلس الشعب.
- كلمة السيد الرئيس بشار الأسد في القمة العربية العادية في شرم الشيخ / القاهرة .
- في الشأن الحزبي .. — فوزي الجودة
- سايكس / بيكو الأميركية : — خالد الأشهب
حرب على العقل والثقافة العربيين.
- مذبحة دير ياسين . — د. غازي حسين
- الترانسفير من فلسفة الإبادة إلى التهجير القسري. — عماد رحمة
- مئة عام على المشروع الصهيوني — رهيف حجل
الدعاية والإعلام في التجمع الصهيوني(1-2).
- القومية وموقعها في الصيرورة التاريخية . — د. فيصل سعد
- فلسفة المقاومة (1-2). — علي الحسن
- الإرهاب الدولي : الجذور والحقيقة. — المناضل
- من ذاكرة الحزب — المناضل
- وثائق .
- أنشطة .

إعداد سهيلا مرزوق

العدد 320 أيار - حزيران

- مسوغات الحرب وضرورات المحاسبة. **الرفيق الدكتور فواز الصياغ**
عضو القيادة القومية الاحتياط
رئيس هيئة التحرير

- آخر حديث للفقيد الرفيق الدكتور فاضل الأنصاري لصحيفة (المستقبل) اللبنانية.
- قومية البعث ووحدانيته وضبابية المصطلحات والتسميات. — غياث كنعو
- سلطة الدولة وسيادتها في ظل العولمة /1-2/ . — د. عزت السيد أحمد
- المشروع الأميركي ومنهجية المعايير المضافة. — أحمد الحاج علي
- غطرسة الذات ونفي الآخر في الخطاب السياسي الأميركي. — خالد الأشهب
- مئة عام على المشروع الصهيوني — رهيف حجل
الدعاية والإعلام في التجمع الصهيوني /2-2/ .
- مستقبل البشرية في ضوء تناقضات العولمة الرأسمالية. — د. فيصل سعد
- فلسفة المقاومة /2-2/ . — المناضل
- حوار الأمم — علي الحسن
(تاريخ الترجمة والإبداع عند العرب والسريان).
- من ذاكرة الحزب . — المناضل
- أنشطة. — المناضل

العدد 321 تموز - آب

- وحدة العراق . ومأزق الاحتلال. **الرفيق الدكتور فواز الصياغ**
عضو القيادة القومية الاحتياط
رئيس هيئة التحرير

- الرفيق الأمين العام المساعد لصحيفة (الشروق) التونسية .
- البعث والقومية كنظرية عمل سياسي. — د. فايز عز الدين
- سلطة الدولة وسيادتها في ظل العولمة /2-2/ . — د. عزت السيد أحمد
- في المسألة التنظيمية / الاجتماع الحزبي مثالاً. — غياث كنعو
- في فلسفة الممارسة :
النظرية الاجتماعية والممارسة السياسية . — د. فيصل سعد
- الأمن المائي العربي إلى أين ؟ — د. ناصر عبيد الناصر
الأهمية الجيو-سياسية للمياه.
- في زمن سمته الأساسية الانهيارات : — علي الحسن
ماذا عن انهيار أسطورة السلام ؟ .

- معركة ذات الصواري .. نصر محمد
القوة البحرية العربية .
- من ذاكرة الحزب. المناضل
- أنشطة ووثائق. إعداد : سهيلا مرزوق

العدد 322 أيلول ـ تشرين الأول

- أميركا و(إسرائيل) وحدة الهدف وتقاسم الأدوار!! **الرفيق الدكتور فواز الصياغ**
عضو القيادة القومية الاحتياط
رئيس هيئة التحرير
- كلمة السيد الرئيس بشار الأسد
في مؤتمر القمة الإسلامية بماليزيا .
- مقتطفات من البيان الختامي
للدورة العاشرة لمؤتمر القمة الإسلامية بماليزيا .
- كلمة الرفيق الأمين القطري المساعد للحزب.
في الذكرى الثلاثين لحرب تشرين التحريرية .
- الواقع العربي والنظام العالمي الجديد / مسائل التقاطع والتناقض.
أحمد الحاج علي
- ايديولوجيا البعث وإعادة بعث الإيديولوجيا. خالد الاشهب
- البحث الآثاري (الأركيولوجي) في مواجهة الرواية التوراتية. عماد رحمة
- التربية العربية في الحالة العولمية المعاصرة . د. فايز عز الدين
- العولمة ومفهومها وآثارها. فرحان عقل دريب
- في فلسفة التخلف : التخلف المعاصر ، طبيعته وعوامله. د. فيصل سعد
- الإصلاحات الاقتصادية في الوطن العربي إلى أين ؟ . د. ناصر عبيد الناصر
- القانون الدولي العام في ظل الهيمنة الأمريكية. علي الحسن
- الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني . المناضل
- من ذاكرة الحزب . المناضل
- أنشطة ووثائق . إعداد : سهيلا مرزوق